الدَّرس الدّلاليّ للتَّثْنِيَةِ فِي سُورَةِ الرَّحمَنِ

د. عِصَام عِيد فَهْمِي عُثْمَان أَبُوغَزْيِيَّة
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
وَمُدَرِّسٌ بِكُلِيَّةِ دَارِ الْعُلُوم – جَامِعَةُ الْقَاهِرَة

المُلخَص

يهدفُ هذا البحث إلى تجلية الدرس الدلاليّ لظاهرةٍ يَكْثُرُ تَرْدَادُها في إحْدى سُور القُرآن الكريم ، وهي «ظَاهرة التَّثْنية» ؛ لما لها في اللُّغة العربيَّة – بشكلٍ عامٍّ – ، وفي سورة الرَّحْمن – بشكلٍ خاصٍّ – من خُصُوصِيَّة ومزيَّةٍ. ولعلك تلحظ كثرة تكرار المورفيم الدَّال على التَّثْنية «ان» في السورة الكريمة ؛ فهو وَتَرُها وقُطْب رَحَاها ومُرْتكزُها الذي اتَّكأ عليه بناؤها.

جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث ، وخاتمة . تناول المبحث الأوَّل الحديث عن دلالة التثنية بالعطف في سورة الرحمن . وجاء المبحث الثَّاني للحديث عن الدَّرس الدلاليّ لتثنية الأفعال في سورة الرّحمن. والمبحث الثَّالث للحديث عن الدَّرس الدلاليّ لتثنية الأسماء في سورة الرّحمن. والمبحث الرَّابع للحديث عن الدَّرس الدلاليّ لتثنية الحروف في سورة الرّحمن. وقد أَوْلى الباحثُ مزيدًا مِنَ الْبَيَانِ للأَبْعاد الدّلاليَّة للتَّثْنِية في السُّورة الكريمة .

أكَّد الباحث في هذه الدراسة أنّ التّثْنِية لَمْ تَأْتِ في سُورة الرَّحمنِ شَيْئًا زائدًا لا قيمة له، بل كان لها دَوْرُها المهِمُّ في سياقِ الآياتِ الكريمة؛ فَفَضْلاً عن قيمتها الجماليَّة الإيقاعيَّة في النَّصِّ ، فإنَّها تُعَدُّ – كذلك – إحدى الوسائل المهمَّة في إثراء العربيَّة وتنويع تراكيبها اللغويَّة.

خَتَمَ الباحثُ بَحْثَهُ بخاتمةٍ تَضَمَّنتْ أَهَمَّ النَّتَائج التي تَوَصَّل إليها ؛ ومنها أنَّ للتَّثْنية فوائد كثيرة ومزايا متنوَّعة تُسْتَفَاد من سياق الكلامِ، وأنَّ الكلمات المثنَّاة جاءت جامعة بين حقِّ المعنى وحقِّ اللفظ في أجمل تعبير وأبلغ موضع ، مستقرَّة في مكانها متمكِّنة في قرارها.

أَرْجُو أن يكون الباحثُ قَدْ نَفضَ الغبار عن هذه الظَّاهرة المهِمَّة التي سَرَتْ في السُّورة الكريمة ، ونجح في تجلية جانبها المشرق : الجانب الدلاليّ.

مُقَدِمَةٌ :

الدَّرس الدّلاليّ للتَّثْنِيَةِ فِي سُورَةِ الرَّحمَنِ

الحمد للهِ الذي أَوْدع في كتابه الكريم أَسرار البيان ، وتَحَدَّى به النَّاس على اختلاف مَلَكاتهم وتنوُّع قُدراتهم. والصَّلاة والسَّلام على رسول الله – صلّى الله عليه وعلى آله وصَحْبِهِ أجمعين -. وبعد ...

فقد تَعَاقَبَ على دراسة النَّصِّ القُرْآنِيّ علماءُ أجِلاَّء وَهَبُوا أنفسهم لخدمة كتاب الله العزيز، والكشف عن أَسْراره ولآلئه، والبحث عن دلالاته ومَراميه. وكان الدَّرس الدّلاليّ في مقدّمة

اهتمامات علمائنا: لغويّين وبلاغيين ومفسّرين ومناطقة وأصوليين ؛ حيث مثَّلت قضية الدّلالة قاسما مشتركا بين هؤلاء جميعا.

وعلى الرغم من هذه الجهود المشكورة التي تُبْذَل الآن مِنْ قِبَلِ الباحثين والدّارسين في الكشف عن دلالات النَّصِّ القرآنِيّ ، والبحث في مقاصده ، وتفسير معانيه؛ فإنَّ أحدا لا يمكنه الادعاء بتملك جميع مفاتيح هذا النَّصِّ؛ فمن شَطَطِ الاعتقاد أن يَخْطُر بِبال أيّ من الباحثين إحاطَتَه بكلِّ أسرار القرآن المجيد.

سَيَظَلُّ القرآنُ الكريم دائمًا نَهْرًا مُتَدَفِّقًا يَنْهَلُ منه الباحثون، ومَعينًا ثَرًّا يَمْتَحُ منه الطَّالِبُون ، ومَلاذًا غَنِيًّا يَرِد إليه القاصدون؛ فهو قِبْلَة الدَّارسين لِلُّغة، وَمَرْفَأ المُهْتَمِّين بتراكيبها ودلالاتها.

اختار الباحث إحْدى سُور القرآن المكّيّة[1] ـ وهي سُورة الرَّحمن ـ التي تُعالج أصول العقيدة ، وتُذَكِّر بِنعم الله الظَّاهرة ، وآلائه الباهرة ، وعطائه العظيم لكلّ من الإنس والجنّ (المخاطبَيْن في السورة) ، وجَعَل منها تطبيقًا للمدرس الدلاليّ لموضوع «التَّثنية» - أبرز ما في السُّورة الكريمة ، وأظهر ما فيها - . وقد افْتُتِحَت السُّورة بإثبات وَحْدانيّة الله – تَعَالى - ؛ فَبَدأت باسمٍ من أسماء الله هو «الرَّحْمن» - ؛ تنبيها على أنَّ أصول الآلاء والنعم وفروعها لا تكون إلا منه - ، وصار هذا الاسم مُرْتَكَزًا للسُّورة وعَمُودًا لها ؛ فالله - «الرَّحمن» في بداية السُّورة ، «ذُو الجلال والإكْرام» في نهايتها – واحدٌ لا ثانيَ لَهُ ، في مُقَابِل ثنائيَّاتٍ كثيرة مَبْثُوثة بشكلٍ بارزٍ في السُّورة الكريمة ؛ حيث نجد مقابلاتٍ بين : الشَّمس والقمر ، والسَّموات والأرض ، والإنس والجنّ ، والمَشْرِقَيْن والمَغْربين ، والنَّواصي والأقدام ، والفناء والبقاء (فَانٍ ، ويبقى) ، والرَّفع والوضع ... وهكذا . وكان للتَّكرار الملحوظ لصوت النُّون – بما فيها من غنَّة وشجن - دورٌ في التعبير عن معاني العظمة والجلال.

أهمّيّة الموضوع وأسباب اختياره :

اختار الباحث موضوع " الدَّرس الدّلاليّ للتثنية في سورة الرحمن " ؛ لأنَّ الجانب الدّلالي هو الغاية والمقصد من أيّ دراسة نحوية أو صرفيّة ؛ ولخصوصيّة التَّثنية في سورة الرحمن . وتكمن قيمة هذا البحث العلميّة في اتخاذه من لغة القرآن الكريم نموذجا لاستنباط دلالات التثنية ، والتطبيق على ذلك من سورة الرحمن ، مُفيدا من المناهج المختلفة في الدراسة الدّلالية عند اللغويين الغربيين ؛ كمدرسة السِّياق ، ومدرسة السلوك ، ومدرسة الحقول الدلاليّة [2] . ولتفصيل ذلك فإنني أذكر أنَّ أهمّ الدوافع التي كانت وراء اختيار هذا الموضوع تتمثَّل فيما يأتي:

(١) **خصوصيّة التّثنية في اللغة العربيّة :** تُعَدُّ التّثنية إحدى السمات الدلاليّة البارزة التي تتميَّز بها اللُّغة العربيَّة ؛ حيث تُعْطِي العربيَّة للدلالة العدديّة ثلاث صيغٍ ، هي صيغ : المفرد ، والتَّثْنية ، والجَمع (؛ فلا يكون اثنان أكثر من اثنين عددا – إلا إذا خرج العدد عن دلالته الحقيقية - ، أما الجموع ؛ فتختلف في أعدادها قلَّة وكثرة) . على عكس لغات أخرى لا وجود فيها لصيغة التَّثْنية ؛ ففي بعضها صيغتان فقط : إحداهما للإفراد ، والأخرى للجَمْع . وقد عُدَّ المثنَّى من لطائف العربيَّة وحُسْن بيانها ، ولها في الشِّعر مِنَ الرَّنَّة ما يستهوي الفؤاد[3] . ومن ينظر إلى أبواب النَّحو العربيّ يجد أنَّ التَّثْنية أساس مهمّ في عدد من تلك الأبواب النحويّة ؛ كالابتداء ، والفاعل ونائبه ، والنواسخ ، والنَّعت ، وغيرها .

لم تَخْلُ بَعْضُ اللغات الأُخْرى ؛ كالعبريّة واليونانيّة والسَّنْسكريتيّة من ظاهرة التَّثْنية «ولفظ (اثْنَان) من الألفاظ

---

(١) اختلف العُلماء في كون سورة الرَّحمن مَكِّيَّة أو مَدَنِيَّةً ، والراجحُ مَكِّيَّتُها ؛ لأنَّ موضوعها يَنْسجمُ مع سمات القُرآن المكِّيّ . يُنظر : حاشية القونوي عصام الدين إسماعيل بن مُحَمَّد الحنفيّ (ت ١١٩٥هـ) على تفسير الإمام البيضاويّ (ناصر الدّين عبد الله بن عُمر بن مُحَمَّد الشِّيرازيّ (ت ٦٨٥هـ) ، ومعه حاشية التَّمجيد (مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفيّ (ت ٨٨٠هـ) ، جـ١٨ ، ص ٣٤٤ [ضبطه وصحَّحه وخرَّج آياته : عبد الله مُحَمَّد عمر ، منشورات : مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م] .

(٢) ثَمَّة دراسات كثيرة تناولت علم الدلالة بالشرح والبيان ؛ ومنها : علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق : دراسة تاريخيَّة ، تأصيليَّة ، نقدية ، د. فايز الداية ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٦ م .و : علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٩٨ م . و : علم الدلالة ، جون لاينز ، ترجمة : مجيد عبدالحميد الماشطة ، مطبعة جامعة البصرة ، بغداد ، د ط ، ١٩٨٠ م . و : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، د. هادي نهر ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، إربد ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٧ م . و : المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة العربيَّة) ، د . مُحَمَّد مُحَمَّد يونس علي ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، مارس ٢٠٠٧ م . و : نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، د . كريم حسين ناصح الخالدي ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م . وغيرها مما أشير إليه في قائمة المصادر والمراجع .

(٣) كتاب المثنى ، الإمام أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغويّ الحلبيّ (٣٥١هـ) ، مقدّمة المحقِّق ، ص ٨ [حقَّقه وشرحه ونشر حواشيه : عزّ الدين التنوخيّ ، مطبوعات المجمع العربي بدمشق ، لاط ، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م] . وأودّ الإشارة إلى شيوع التَّثْنية في النُّصوص العربيَّة الفصيحة شعرًا ونَثْرًا بدايةً من فصحاء العصر الجاهليّ ؛ كامرئ القيس وطرفه بن العبد وعنترة بن شَدَّاد وغيرهم ، مرورًا بالعصور المختلفة حتى فصحاء العصر الحاضر . وأيضا ؛ فإنَّ ظاهرة التَّثْنية شائعة – كذلك – في النُّصوص العامّيَّة ؛ فكثيرًا ما نسمع قائلاً يقول : «ناولْني رغيفين» ، «قِرْشَيْن» ، «كلمتَيْن» ، ... وهكذا ، رُبَّما لمقصد حقيقيّ أو مجازيّ . أمَّا في اللغات الأنجلو أوربية ؛ فالظاهرة غير موجودة . وقد أشار سوسير إلى ذلك حين بيَّن أنَّ للجمع في «السنسكريتيَّة [والعربيَّة] قيمة تختلف عن الجمع في الفرنسيَّة أو الإنجليزية ؛ لأنَّ الجمع في السنسكريتيَّة يرجع إلى نظام ثلاثيّ : المفرد والمثنَّى والجمع ، في حين أنَّه يعود في الفرنسية على نظام ثنائيّ : المفرد والجمع » . علم الدلالة ، أف . آر . بالمر ، ص ٧٧ [ترجمة مجيد عبدالحليم الماشطة ، الجامعة المستنصرية – بغداد ، د ط ، ١٩٨١م] .

السَّامية ؛ فهو في اللُّغة العبريّة (شنايم) Shnayim للمذَكَّر ، و(شتايم) Shtayim للمؤنَّث ، وفي الأكَّديّة (شين) للمذكَّر ، و(شتين) للمؤنَّث ، وفي الحبشيَّة نجد (سنوي) و(سنايت) بمعنى اليوم الثاني من الأسبوع أو الشَّهر»[١] .

واقتصرت التَّثْنية في بعض اللغات ؛ مثل الآراميَّة والبابليّة «على أعضاء الجسم المزدوجة كما في (يداين) و(رجلاين) ، وعلامته الياء والنُّون . وهما في الآشورية ضيقة الاستعمال كذلك ، وعلامته الألف الليّنة المتبوعة بالنُّون»[٢] .

لقد حظي موضوع التَّثْنية بنصيبٍ كبيرٍ من اهتمام العربيَّة ؛ فباب «التَّثْنية في العربيَّة غريبٌ كباب العدد ؛ إذ يُذَكَّر فيه المؤنَّث ، ويؤنَّث المذكَّر . ومَنْ تَوسَّع في درس المُثَنَّى ورأى وضع العرب له مرَّة موضع المفرد ، وأخرى موضع الجمع ، تجلَّى له حقيقة ما نقول»[٣] . وأيضًا ؛ فقد عقد ابن جنّي مبحثًا للعدول في التَّثْنية (الحمل على المعنى) ضمن الباب الذي أطلق عليه «شجاعة العربيَّة»[٤] .

(٢) أهميّة الدراسة الدلاليّة : فالكشف عن المقاصد الدلاليّة هدف ينشده أيّ باحث في اللغة . وبالرَّغم مما كُتِب من دراسات في علم الدلالة ؛ فإنَّ الدراسة الدلاليّة للتَّثنية لم تنل حظَّها الكافي من اهتمام الباحثين (بالرَّغم من الجهود المتميّزة للمفسرين والنحاة والأصوليين والبلاغيين وأصحاب المعاجم قديما وحديثا)[٥] ؛ حيث انصبَّتْ جلّ الجهود إلى الدراسة الصرفيّة والنحويّة للتَّثْنية، وجاء تناول الدرس الدلاليّ لها عَرَضا، مع أنَّ الدّلالة هي الغاية المرجوّة من أيّ دراسة لغويّة.

(٣) بروز التَّثنية ووضوحها في سورة الرحمن: البناء الصّوتي الذي أقيمت عليه سورة الرحمن من بدايتها حتّى نهايتها - في مواطن كثيرة منها - هو تكرار المورفيم الدال على التثنية (ان). وقد أضْفى وجوده قيمة دلاليّة مهمّة ؛ فضلا عن قيمته الصّوتيّة الموسيقيّة – وبخاصّة عندما يأتي في كلمة الفاصلة - . ولا شكَّ أنَّ الدرس الدلاليّ لظاهرة التَّثْنية في إحدى سور القرآن لهو هدف يُرْمَى إليه ؛ فالقُرْآنُ الكريمُ مَعِينٌ لا يَنْضَبُ ، وفي سوره من آياتِ الرَّوْعَةِ ودلائل الإعْجَازِ ما يَأْسِرُ الْعَقْلَ ويَسْتَحْوِذُ على الْقَلْبِ ، والحديثُ عَنْهُ يُغْرِي بالإفَاضَةِ . ولَيْسَ يُسْتَعْذَبُ التَّكْرارُ كما يُسْتَعْذَبُ في كلامِ اللهِ.

الهدف من الدّراسة:

يهدف هذا البحث إلى وضع ظاهرة التَّثْنية في مكانها الصحيح من الدّراسة الدّلالية من خلال الكشف عن الطاقات الدلاليّة الكامنة وراء استعمالها في النَّص القرآني بالتطبيق على سورة الرَّحمن . تلك السّورة التي تتجلَّى فيها هذه الظاهرة بشكل لافت ؛ حيث انبنت آياتها من بدايتها إلى نهايتها على ثنائيَّات بين أمور كثيرة.

الدّراسات السّابقة المتّصلة بالدراسة:

لقد أولى علماء اللغة موضوع التَّثْنية أهميّة كبيرة ، فخصَّصوا له كُتُبًا ، وألَّفوا فيه أبحاثًا ، لعلَّ من أبرزها[٦] : «المُثَنَّى» لأبي الطَّيِّب اللُّغويّ ، و«جَنَى الجُتَيْنِ في تمييز المُشتبَّين» للمُحِبّي ، و«علل التَّثْنية» لابن جنّي ، و«معجم الألفاظ المثنّاة» لشريف يحيى أمين . كما نجد موضوع التثنية مبثوثًا في أبواب كثير من الكتب ؛ فسيبويه تناول موضوع التَّثنية في

---

(١) فقه اللغة المقارن ، د. إبراهيم السَّامرَّائيّ ، ص ٧٧ [دار العلم للملايين – بيروت ، ط٣ ، كانون الثاني ١٩٨٣م] .

(٢) السابق نفسه . و قد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنَّ الصّيغة الأصليَّة للمثنَّى كانت بالياء (علامة النَّصب والجرّ) ، وأصابها التَّطوُّرُ الصوتيُّ ، فأميلت نحو الألف ؛ فخصَّت الألف للرَّفع ، والصيغة القديمة وهي الياء خُصَّ بها النَّصْب والجرّ . يقول : «وتخلَّصت بعض اللهجات السَّامية من صوت اللين المركب Diphthong في المثنَّى ، بأن تطوَّر فيها إلى صوت لين خالص «حرف مدّ» ... ونرى أثَرَهُ – أيضًا – في بعض الرَّواسب العبرية القديمة ولاسيَّما في العدد (اثنين) مركَّبًا مع العدد (عشرة)» . وقد دلَّلَ الدكتور أنيس على كلامه بوجود آثارٍ لهذه الصّيغة في العبريَّة وبعض اللغات الساميَّة الأخرى . ينظر : من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، ص ٢٧٢ [مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٧٨م] .

(٣) إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، ص ١١٣ [القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م] .

(٤) الخصائص ، صنعة أبي الفتح عُثمان بن جنّي ، ٢/٣٦٠-٤٤٠ ، و٢/٤٢٣ [تحقيق : محمّد علي النَّجّار ، دار الكتب المصريّة ، القاهرة ، د.ط ، د.ت] .

(٥) الاهتمام بالدرس الدلالي قديم ؛ فللخليل وسيبويه والجاحظ وابن جني وابن فارس والزمخشري والثعالبي وعبدالقاهر وابن الأثير والقرطاجني وابن القيم والسيوطي وابن عاشور وغيرهم – إشارات كاشفة في دلالات الألفاظ . وكثير من معطيات الدرس الدلالي الحديث توصّل إليها علماؤنا القدامى في أثناء دراستهم اللغة ونصوصها . ينظر : تطور البحث الدلالي : دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ، محمّد حسن الصغير ، ص ٢٥ : ٤٤ [دار المؤرخ العربي ، بيروت ، دط ، دت] .

(٦) ينظر ثبت المصادر والمراجع .

مواضع عدَّة من كتابه[1] . كما تناوله ابن السِّكّيت في «إصلاح المنطق» تحت عنوان «باب ما جاء مثنًّى»[2] ، وابن حمزة الأصفهاني في «الدرَّة الفاخرة في الأمثال السَّائرة» ؛ حيث عقد الفصل الثالث من الباب الثَّلاثين من الأسماء[3] ، وقدامة بن جعفر في «جواهر الألفاظ في باب الواحد والمتعدِّد»[4] ، والزركشيّ في «البرهان في علوم القرآن» عند حديثه عن «المثنَّى وإرادة الواحد»[5] ، وابن قُتَيْبة في «أدب الكاتب» في «باب التثنية»[6] ، وحبيب غزالة في « خصائص اللغة العربيَّة » عند حديثه عن « المثنَّى »[7] ، وغيرها . وقد أفاد الباحث من تلك الكتب ؛ كما أفاد من دراسات أخرى في الدلالة والنحو والتفسير واللغة وغيرها . بعض هذه الدراسات تناول الموضوع بشكل عامّ ، وبعضها درسه دراسة نحويّة أو صرفيَّة ، وبعضها تناول جانبا من جوانب الدلالة غير قضيَّة التَّثنية .[8] وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في تخصيص موضوع التَّثنية بالدّراسة الدّلالية والتَّطْبيق على سورة الرحمن ، وتحليل ما ورد فيها من كلمات مثنّاة ؛ لما لذلك من دوْر في الكشف عن أسرار الدَّرس الدّلاليّ الذي يُعدّ بحقّ مجالا خِصْبًا في الأبحاث اللغوية الحديثة.

منهج الدّراسة:

قام الباحث بدراسة التَّثنية في ضوء معطيات الدرس الدّلاليّ ، مطبقًا على ذلك من سورة الرحمن . ومن ثمَّ كان المنهج الوصفي التحليلي هو الأنسب في هذه الدراسة ؛ حيث أتى بالشَّواهد الدَّاعمة للتَّثنية ، والتحليل ؛ من أجل الوصول إلى الدلالة والمعنى . مع عدم إغفال قيمة المبنى ؛ اعتمادا على أنَّ المبنى والمعنى وجهان لعملة واحدة .

خطّة الدّراسة:

إنَّ ظاهرة التَّثْنية من الظَّواهر اللغويَّة الموجودة في الاستعمال العربيّ بشكلٍ عامّ والاستعمال القرآنيّ بشكلٍ خاصّ ، وهي أبرز ما في سورة الرَّحمن . وقد جاء تناول هذا الموضوع في مقدّمة ، وتمهيد ، وأربعة مباحث ، وخاتمة . تحدَّثت في المقدّمة عن موضوع الدراسة ، وأهميّته ، وأسباب اختياره ، وهدفه ، والمنهج المتَّبع ، وخطَّة الدراسة . وأمَّا التمهيد ؛ فكان مخصَّصا للحديث عن التثنية لدى أصحاب المعاجم والنحاة . وأمَّا المبحث الأول ؛ فكان الحديث فيه عن دلالة التَّثْنية بالعطف في سورة الرَّحمن . وقد أظهرت فيه أنَّ المعنى كان سببا في اختيار هذا النَّمط . وجاء المبحث الثاني بعُنوان " الدَّرس الدّلاليّ لتَثْنية الأفْعَال في سورة الرَّحمن " ، وقد أوضحت فيه دلالة ما ورد من أفعال لحقتها علامة تثنية في سورة الرَّحْمن. وأمَّا المبحث الثالث ؛ فجاء بعُنوان " الدَّرس الدّلاليّ لتَثْنية الأسماء في سورة الرَّحمن " ، وقد أزلت فيه التَّوهم في اختيار التَّثْنية في بعض الكلمات ، وجلَّيْتُ فيه الأبعاد الدِّلالية للتَّثْنية في السورة. وجاء المبحث الرَّابع بعُنوان " الدَّرس الدّلاليّ لتَثْنية الحروف في سورة الرَّحمن " أظهرت فيه قضية مهمة هي العدول في التَّثْنية في سورة الرَّحمن . ثم ختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات ، ثم بفهرس للمصادر والمراجع.

وهاك البيانَ والتَّفْصيل :

التَّمْهيد : تعريف التَّثْنية

التَّثْنية في اللُّغة : مصدرٌ على وزن «تَفْعِلة» للفِعْل «ثَنَّى» «يُثَنِّي» «تَثْنِيَةً» ؛ مثل : «تَوْعِيَة» ، و«تَأْدِيَة» ، و«تَصْلِيَة» ، و«تَزْكِية» ، و«تَرْبِيَة» ، و«تَسْلِيَة» ، بمعنى :

---

(1) كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، ١٠٤/١ ، ١٠٥ ، ٦٢/٣ ، ٣٧٢ ، ٣٨٦-٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٨٨ ، ٦٢١-٦٢٢ [تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م] .

(2) إصلاح المنطق ، ابن السِّكّيت (ت ٢٤٤هـ) ، ص ٣٩٤-٤٠٠ [شرح وتحقيق : أحمد مُحَمَّد شاكر وعبد السلام مُحَمَّد هارون ، دار المعارف بمصر (ذخائر العرب) ، القاهرة ، د.ط ، د.ت] .

(3) الدُّرَّة الفاخرة في الأمثال السَّائرة ، حمزة بن الحسن الأصفهاني ، (ت ٣٥١هـ) ، ٥٠٩/١-٥٥٢ [حقَّقه وقدَّم له ووضع حواشيه وفهارسه : عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ، د.ط ، د.ت] .

(4) جواهر الألفاظ ، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي ، ص ١٩٨ فما بعدها [تحقيق : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م] .

(5) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزَّرْكشيّ ، ص ٦٢٤ فما بعدها [تحقيق : أبي الفَضْل الدِّمياطيّ ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ط ، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م] .

(6) أدب الكاتب ، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدّينوري (ت ٢٧٦هـ) ، ص ١٩١ فما بعدها [شَرَحَهُ وكتب هوامشه وقدَّم له الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م] .

(7) خصائص اللغة العربيَّة (بحث في اللغة العربيَّة الفصحى والعاميَّة وما يقابل خصائص الفصحى في غيرها من اللغات) ، حبيب غزالة بك ، ص ١٠ فما بعدها [المطبعة العصرية بمصر ، القاهرة ، د ط ، ١٩٣٥م] .

(8) يمكن الاطلاع على ذلك في فهرس المصادر والمراجع.

جَعْل الشيء اثْنَيْن[1] . والمثَنَّى : اسم مَفْعُول من «ثَنَّى» «يُثَنِّي» . وقد وضعت العرب من هذه الصِّيغة اسْمًا للعدد الذي هو ضِعْفُ الواحدِ ؛ فقالوا : «اثْنَانِ» و«اثْنَتَانِ» ، وفي لُغَة تَمِيم «ثِنْتَانِ» بِغَيْرِ هَمْزَةِ وَصْلٍ[2] . والمَثَانِي : الآياتُ تُتْلَى وَتُكَرَّرُ[3] . وَتُكَرَّرُ[3] . وتُسَمَّى فاتحة الكتاب مثانِيَ ؛ لأنَّها تُثَنَّى في كُلِّ رَكْعَةٍ[4] .

التَّثْنِية لَدَى النُّحاة : توقَّف النَّحْويُّون أمام مقولة التَّثْنية ، وحاولوا تحديدها ؛ فعرَّفها ابن الأنباريّ بأنَّها «صيغةٌ مبنيَّةٌ للدلالة على الاثنين»[5] . ورأى ابن خروف أنَّ التَّثْنية «أنْ تزيد على الاسم مطلقًا زيادَتَيْن : إحداهما : الألف في حالة الرَّفع ، والياء في حال النَّصْب والجرّ . والثَّانية : نونٌ مكسورة ، وهما عوضٌ من تكرير الاسم إيجازًا واختصارًا»[6] . واختصارًا»[6] . وذهب ابن الشَّجَريّ إلى أنَّ التَّثْنية تنقسم إلى ثلاثة أضْرُبٍ : «تثنيةٌ لفظيَّةٌ ، وتثنيةٌ معنويَّةٌ وردت بلفظ الجمع ، وتثنيةٌ لفظيَّةٌ كان حقُّها التكرير بالعطف»[7] ؛ فالأوَّل ؛ مثل «رَجُلانِ» في تثنية «رَجُل» والثَّاني ؛ مثل تثنية آحاد ما في الجسم ؛ كالأنف والوجه ، والثَّالث : تثنية التَّغْليب ؛ مثل «الْقَمَرانِ» و«الأبوانِ»[8] .

والتَّثْنية لدى ابن عصفور «ضمُّ اسمٍ إلى مِثْلِهِ بشرطِ اتِّفاقِ اللَّفْظَيْن والمَعْنَيَيْن أو كون المعنى الموجب للتَّسمية فيهما واحدًا»[9] . وقد ردَّ ابن الحاجب هذا التَّعريف ؛ حيث خالفه بالاتِّفاق في اللفظ والاختلاف في المعنى ؛ فيجوز عنده أخذ

---

(1) لسان العرب لابن منظور، (ثَني) ، ٥١٣/٦ [دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت] . و: الصِّحَاح : تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة ، تأليف : إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ ، (ثَني) ، ٦/ ٢٢٩٥ [تحقيق : أحمد عبد الغفور عطَّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٠م] . و: القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، (ثَني) ، ص ١٢٦٧ [تحقيق : مكتب تحقيق التُّراث في مؤسَّسة الرِّسالة بإشراف : مُحَمَّد نعيم العرقسوسي ، طبعة فنيَّة منقَّحة مفهرَسة ، مؤسَّسة الرِّسالة ، بيروت ، ط٨ ، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م] . و : كتاب المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير للرَّافِعيّ ، تأليف : العلامة أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيوميّ المقري (ت ٧٧٠هـ) ، (ثني) ، ٨٥/١ [وزارة المعارف العموميَّة ، المطبعة الأميريَّة بالقاهرة ، ط٥ ، ١٩٢٢م] . و: المثلَّث لابن السّيد البطليوسيّ (ت ٥٢١هـ) ، ٣٨٥/١-٣٨٧ [تحقيق ودراسة : د. صلاح مهدي الفرطوسي ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقيَّة ، د.ط ، ١٤٠١هـ=١٩٨١م] . و: مختار الصِّحَاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي ، (ثَني) ، ص ٥٧٧ فما بعدها [المطبعة الكلّيَّة على نفقة صاحبها عبد الله مُحَمَّد الكبتي ، ط١ ، ١٣٢٩هـ] . و: كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ) ، (ثني) ، ٢٤٢/٨ فما بعدها [تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السَّامرائي ، سلسلة المعاجم والفهارس ، (بدون بيانات أخرى)] .

(2) المصباح المنير (ثني) ، ٨٦/١ . و: لهجة تميم وأثرها في العربيَّة الموحَّدة ، غالب فاضل المطلبي ، ص ١٧٢ [منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد ، سلسلة دراسات (١٥٥) ، د.ط ، ١٩٧٨م] .

(3) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة [الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التُّراث ، مكتبة الشُّروق الدَّولية ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م] ، ١٠٢/١ .

(4) تهذيب اللغة لأبي منصور مُحَمَّدبن أحمد الأَزْهريّ (ت ٣٧٠هـ) [تحقيق : إبراهيم الإبْيارِيّ ، دار الكاتب العربيّ ، مطابع مسجّل العرب ، د.ط ، ١٩٦٧م] ، (ثني) ، ١١٨/١ ، ١٣٨/١٥ . و: الصِّحاح للجوهري ، ٢٢٩٦/٦ .

(5) أسرار العربيَّة ، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبد الله الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، ص ٤٦ . [دراسة وتحقيق : مُحَمَّد حسين شمس الدين ، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م] .

(6) شرح جمل الزَّجَّاجي ، ابن عصفور الإشبيليّ (ت ٦٦٩هـ) ، ٢٦٣/١ ، ٢٧٧ [(الشرح الكبير) ، تحقيق : د. صاحب أبو جناح ، د.ط ، ١٩٧١م] . وقد اختلف في سبب إلحاق النون المثنّى ؛ فقيل : هي عوض عن حركة الواحد المفقودة بالتَّثْنية ، وقيل : هي عوض عن التَّنوين في المفرد ، وقيل : هي عوض عمَّا فاتها من الإعراب بالحركات وعن التَّنْوين . والرَّجح أنَّها عوض عن الحركة والتنوين فيما كان مفرده التنوين والحركة ؛ كمحمد ، وعن الحركة فقط فيما لا تنوين فيه ؛ كزينب ، وعن التنوين فقط فيما لا حركة في مفرده ؛ كالقاضي . يُنظر تفصيل ذلك في : النُّون وأحوالها في لغة العرب ، د . صبحي عبدالحميد مُحَمَّد عبدالكريم ، ص ٢٣٠ فما بعدها .[مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م] .

(7) أمالي ابن الشَّجريّ ، هبة الله بن علي بن مُحَمَّد بن حمزة الحسني العَلَويّ (ت ٥٤٢هـ) ، ١٥/١ [تحقيق ودراسة : د. محمود مُحَمَّد الطَّناحيّ ، الناشر : مكتبة الخانجيّ ، القاهرة ، (د.ط ، د.ت)] .

(8) ينظر : أمالي ابن الشَّجريّ ، ١٥/١-١٩ .

(9) شرح جمل الزَّجَّاجِيّ ، ابن عصفور ، ١٣٥/١ . وقد ذكر ابن عصفور في موضع آخر أنَّ التَّثْنية تنقسم إلى ثلاثة أقسام «تثنية في اللفظ والمعنى ؛ نحو : الزَّيْدَيْن والعُمَريْن ، وتثنية في اللفظ لا في المعنى ؛ نحو : مِقَصَّيْن وجَمَلين ، وتثنية في المعنى لا في اللفظ ؛ نحو : قطعتُ رءوس الكبشَيْن . ألا ترى أنَّ اللفظ لفظ الجمع ، والمعنى على التَّثنية؟» . (شرح جمل الزَّجاجي ، ابن عصفور ، ١٣٧/١) .

الاسم المشترك فتثنّيه باعتبار المَدْلُولَيْن ؛ مثل : «عَيْنَانِ» في عين الشَّمْس ، وعَيْن الماء[1] . يقول : «ليس قول من قال : «ضَمّ شيءٍ إلى مِثْلِهِ» في حدِّ المُثَنَّى – بِشَيْءٍ ؛ لأنَّك لو قُلْتَ : «زَيْدٌ وَزَيْدٌ» ، ضَمُّ شيءٍ إلى مِثْلِهِ ، وَلَيْسَ بِمُثَنًّى»[2] .

وقد وافقه ابن مالك ؛ فقال : «نَبَّهْتُ على ذلك بقولي : «مُتَّفقين في اللفظ غالبًا» ، وبقولي «وفي المَعْنى على رأي» على خِلاف في المختلفي المعنى ؛ كعينٍ ناظرةٍ وعين نابعة . وأكثر المتأخّرين على مَنْع تَثْنية هذا النَّوْع وجَمْعه ، والأصحُّ الجوازُ ؛ لأنَّ أصل التَّثْنية والجمع العطف ، وهو في القَبِيلَيْنِ جائزٌ باتّفاقٍ ، والعدول عنه اختصار»[3] .

وفي الاستعمال الحديث ؛ فإنَّ الألف والنون الدالّة على معنى المثنّى هي مورفيم مقيّد (bound morpheme) لا يمكن استخدامه منفردا بل يجب اتّصاله بمورفيم حرّ أو مقيّد آخر[4] .

المبحث الأوّل : دلالة التّثنية بالعطف في سورة الرّحمن

الدّلالة الرئيسة من التّثنية هي الإيجاز والاختصار ؛ حيث تَنُوبُ كلمة واحدة عن كلمتين ؛ فبدلاً من أن نقول : «قابلتُ رَجُلاً وَرَجُلاً» ، نقول : «قابلتُ رَجُلَيْن» . فكلمة «رَجُلَيْن» أَوْجَزُ من «رَجُلٍ وَرَجُلٍ» . وبدلاً من أن نقول : «ذهب زَيْدٌ وَزَيْدٌ» ، نقول : «ذَهَبَ الزَّيْدَانِ» ؛ فكلمة «الزَّيْدَانِ» أَخْصَرُ من «زَيْدٍ وَزَيْد»[5] . يقول ابن الشَّجَريّ : «التّثْنية والجمع المستعملانِ بالحرفِ أصلها التّثْنية والجمع بالعطف ؛ فقولك : «جَاءَ الرَّجُلانِ» ، و«مررتُ بِالزَّيْدَيْنِ» ، أصله : «جَاءَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلُ» ، و«مررتُ بِزَيْدٍ وَزَيْدٍ» ؛ فحذفوا العاطف والمعطوف ، وأقاموا حرف التّثْنية مُقامها اختصارًا . وصحَّ ذلك ؛ لاتّفاقِ الذَّاتَيْنِ في التَّسْمِيةِ بِلَفْظٍ واحدٍ»[6] .

التّثْنية بالعطف إذَنْ هي الأصْل . وقد عدَّها النَّحْويُّون من الضَّروراتِ التي يُضطرُّ إليها الشَّاعر . يقول البغداديّ : «أصل المثنَّى العطف بالواو ؛ فلذلك يرجع إليه الشَّاعر في الضَّرورة»[7] . وقد أشار جُلُّ النَّحويّين إلى أنَّ اللَّفْظَيْن يُثَنَّيانِ إذا اتّفقا . أمَّا إذا اختلف لفظ الاسمين ؛ فيجب التكرير بالعطف[8] . والدَّرس الدّلاليّ الحديث يجب أن لا يكون بمنأى عن ذلك الموضوع ؛ فينبغي أنْ يتضمَّن حديثًا عن العلاقات الدّلاليّة بين المعطوف والمعطوف عليه[9]

لقد كان للتقابل حضورٌ بارزٌ في إظهار الصُّورة من خلال مقابلها في سورة الرَّحمن ؛ كالمقابلة بين الشَّمس والقمر (وهما سماويَّان) ، والنَّجْم والشَّجَر (وهما أَرْضِيَّانِ)[10] . وقد أدَّى ذلك التقابل إلى التناسب ، بيد أنَّه لم يكن تناسبا قريبا جليّا ، بل كان تناسبا بعيدا خفيًّا ، بيَّنه الزمخشريّ عندما كان يفسّر قوله – تعالى - : " الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان " [11] . يقول : «فإن قلت : أيّ تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف ؟ قلت : إنَّ الشمس والقمر سماويان . والنجم والشجر أرضيان . فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وأنّ السماء والأرض لا تزالان تذكران قرينتين ، وأنَّ جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله ؛ فهو مناسب لسجود النجم والشجر»[12] .

---

(1) الإيضاح في شرح المفصَّل ، أبو عمرو عثمان بن عُمر المعروف بابن الحاجب النَّحويّ (ت ٦٤٦هـ) ، ٥٢٩/١ . [تحقيق وتقديم : د. موسى بناي العليليّ ، مطبعة العاني ، بغداد ، الكتاب الخمسون ، إحياء التُّراث الإسلامي ، د.ط ، د.ت] .

(2) الإيضاح في شرح المفصَّل ، ابن الحاجب ، ٥٢٨/١ فما بعدها .

(3) شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) ، جمال الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك الطائيّ الأندلسيّ (ت ٦٧٢هـ) ، ٦٢/١ . [تحقيق : مُحَمَّد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السَّيِّد ، منشورات : مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م] .

(4) أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة ، د. نايف خرما ، ص ٢٢٦ . [عالم المعرفة ، يصدرها المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د ط ، ١٩٧٨ م] .

(5) أسرار العربيَّة ، الأنباريّ ، ص ٤٦ .

(6) أمالي ابن الشَّجريّ ، ١٣/١ .

(7) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغداديّ (ت ١٠٩٣هـ) ، ٤٦١/٧ . [تحقيق وشرح : عبد السَّلام مُحَمَّد هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط٣ ، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م] .

(8) ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١هـ) ، ١٤٣/١ فما بعدها . [تحقيق وشرح : د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسَّسة الرِّسالة ، بيروت ، د.ط ، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م] .

(9) العلاقات الدلاليَّة بين المعجم وعلم الصرف ، مشري عبدالناصر ، ص ١١٥ . [جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الملتقى الدوليّ الأوّل في المصطلح النّقْديّ يومي ٩ و ١٠ مارس ٢٠١١ م] .

(10) التفسير الكبير ، الرّازي ، ٨٦/٢٩ فما بَعْدَها . [طبع بالمطبعة البهيَّة المصريَّة ، القاهرة ، د.ط ، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م] .

(11) الرحمن ٥ و ٦ .

(12) ينظر : الكشاف ، الزمخشريّ ، ٦/٦ . و : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د . مُحَمَّد

إنَّ العلاقة بين ثنائيّات ؛ مثل : السموات والأرض ، والشمس والقمر ، والإنس والجنّ ، وغيرها - علاقة تنافر ، وليست علاقة تضادّ ؛ فليست السموات نقيضا للأرض ، أو الشمس نقيضا للقمر ، وليست الجنَّ متضادَّة مع الأرض [١] .

للثنائيّات دور بارز في الكشف عن العلاقات الدلاليّة داخل النص القرآني بشكل عام ، وداخل سورة الرحمن بشكل خاصّ . وقد ورد العطف بين ألفاظ مختلفة في مواضع عِدَّة من تلك السورة، ولم يُخْتَر فيها المُثَنَّى التغليبيّ الذي يغلب أحد اللَّفْظَيْن على الآخر ؛ لشُهرته أو لخفَّته ؛ مثل : «الأبويْن» للأب والأُمّ ، و«القَمَريْنِ» للشمس والقمر ، و«العُمَريْن» لأبي بَكْرٍ وعُمَر ، وغيرها مما هو مسموع[٢] . وكانت الدلالة وما تتطلَّبه سببا في اختيار هذا النمط دون سواه . ومن اختيار العطف في سورة الرَّحمن :

عطف الإنْس على الجِنّ في قوله – تعالى - : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) [٣] .

ويُلْحَظُ – هنا – تقديم الجنّ وتأخير الإنس ؛ لأنَّ الجن أقوى على خرق السموات والأرض من الإنْس ، وهي كذلك أكثر قدرة على النَّفاذ والخروج من أقطار السموات والأرض من الإنس ، ومن ثَمَّ كان ذلك التقديم أبلغ في الدلالة على التَّحَدِّي بالنَّفَاذ ؛ حيث بدأ بالأقْوَى الذي يستطيع الصُّعود إلى السَّماء واستراق السَّمع ؛ لسرعة حركته ، واتخاذه مقاعد للاستماع في السماء ؛ كما قال - تعالى - : " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع "[٤] . وقد أشار الدرس الدلاليّ الحديث إلى الدلالة الموقعية التي تتحدَّد وفق موقع اللفظة من السياق ، ووفق تركيب عناصر الجملة وترتيبها ؛ فكثيرا ما تتكوَّن جملتان من نفس الوحدات لكنَّ ترتيبها يختلف ؛ فتتميَّز الدلالة في كلّ.[٥] . ولا شكَّ أنَّ تقديم الجنّ على الإنس قد ناسب دلاليًّا ما للجنّ من خصائص وعجائب وإمكانات.

ومثلها عطف الإنس على الجانّ في قوله – تعالى - : (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ) [٦] ؛ حيث ورد اللَّفْظان المختلفان لفْظًا ومعنًى في سياق ذكر مشهد من مشاهد يوم القيامة ؛ فلا يتكلَّم أحدٌ من الخلائق عن عمله، ولا يُسأل أحدٌ يومئذٍ عن ذنبه . إنَّما هناك صَمْتٌ عام يقتضي السكوت وعدم السؤال ، على عكس مواقف أخرى ، فيها السؤال ، وفيها الكلام ، وليس هذا البحث موضع بيانها. ولعله من الملاحظ مجيء لفظ الإنس مقدَّما على الجنّ ؛إذ إنَّ المقام مقام إبانة وإفصاح ، ولا شكَّ أنَّ الإنس أكثر قدرة على الإبانة والإفصاح من الجنَّ ، وأيضا ؛ فإنَّ الإنس هم المعنيون بالسؤال عن الذنوب قبل غيرهم ؛ لأنهم حاملو الأمانة . وإنما جاء الجنّ معهم ؛ للدلالة على قوَّة صلتهم بالمعطوف وأنهم منهم بمكان ؛ فإذا «ذُكِر اسمان متعاطفان والحكم إنَّما هو لأحدهما أفاد قوَّة اختصاص المعطوف بالمعطوف عليه ، وأنهما بمنزلة شيء واحد بحيث يصحّ نسبة أوصاف أحدهما وأحواله إلى الآخر ، وأنَّ هذه الطريقة غير طريقة البدل ؛ لأنَّ الثاني هو المقصود بالنّسبة فيها ؛ ففرق بين قولك : «أعجبني زيد وكرمه» ، و «أعجبني زيد كرمه» »[٧] . ولذلك كان تقديم الإنس أولى ؛ لأنه يتناسب مع الدلالة ، ويتلاءم مع طبيعة الإنس من قدرة على الإبانة والبلاغة .

وعطف الجانّ على الإنس في قوله – تعالى - : (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) [٨] . ويلحظ تقديم الإنس وتأخير الجانّ في هذه الآية ؛ لأنَّ هذا أدعى إلى طهارة قاصرات الطَّرف . ولو قال : «لم يطمثهن جانّ قبلهم ولا إنسٌ» لم يكن بتلك المنزلة القويّة الشَّديدة ؛ إذ إنَّ نفس الإنسيّ عادة تعاف المرأة إذا طمثها إنسيّ ، لكن إذا عاشرها جنّيّ لم يكن لها تلك الدّلالة النَّفْسيَّة ، وذلك التأدّي النَّفْسيّ ؛ فهذه المرأة لم يعرفها أحد غيرك ،

أبوموسى ، ص ٣٦٦ [دار الفكر العربيّ ، القاهرة ، د ط ، د ت].

(١) يكمن التضاد فيما يمكن أن يفرز من هذه التقابلات من مفردات متضادَّة .

(٢) ينظر : المنهج الوظيفيّ لظاهرة التَّثْنية ، د. عبد الرحمن محمَّد إسماعيل ، ص ٧٩ . [بحوث كلية اللغة العربيَّة ، جامعة أمّ القُرى ، مكة المكرمة ، السَّنة الثَّالثة ، العدد الثَّالث ، د.ط ، ١٤٠٥-١٤٠٦هـ] . وينظر : همع الهوامع ، السيوطيّ ، ١٣٦/١ .

(٣) الرحمن/٣٣ .

(٤) الجن / ٩ .

(٥) ينظر : علم الدّلالة ، تأليف : كلود جرمان وريمول لوبلون ، ص ٨ . [ترجمة : الدكتورة نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٧ م] .

(٦) الرحمن/٣٩ .

(٧) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشريّ ، د . محمَّد أبوموسى ، ص ٣٢٧ .

(٨) الرحمن/٥٦ .

ولم يمسَّها شخص سواك. يقول ابن القيّم : «وأمَّا تقديم الإنس على الجنّ في قوله : (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ)[1] ؛ فَلِحكمةٍ أخرى سوى ما ذكره ، وهو : أنَّ النَّفْي تابع لما تعلقه القلوبُ من الإثبات فيَرِد النَّفْي عليه ، وعلم النُّفوس بطَمْث الإنْس ونُفْرتها ممن طَمثها الرِّجال هو المعروف ؛ فجاء النَّفْي على مُقْتَضَى ذلك ، وكان تقديم الإنْس في هذا النَّفْي أهمّ»[2] .

وعطف القَمر على الشَّمْس في قوله – تعالى - : (**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**) [3] . وقد جاء في بنية التعاطف لفظ الشمس الشمس مقدَّما على القمر ، وهذا مناسب للمقام ؛ إذ قُدّمت الشمس ؛ لأنَّ صفتها في الحسبان أكثر وأصعب ؛فحساب سرعتها أشقّ ، وحساب حركتها أدقّ . وأيضا ؛ فإنَّ ابتعادها عن الأرض يكون بقدر معيَّن ؛ إذا اختلَّ ؛ فربَّما تحرق الأرض . كذلك ؛ فإنَّ الشّمس هي مصدر الضّوء والقمر تابع لها في تلك الصّفة ؛ إذ منها يستمدّ ضوءه . وعلى أيّ فإنّ الشَّمس والقمر كليهما يجريان بحِسابٍ دقيقٍ ؛ فالشَّمس لها حسابٌ ، والقمرُ له حسابٌ ؛ كلٌّ منهما له حسابٌ مُقَرَّرٌ معلومٌ يعلَمهُ الخالق ﷻ . ولولا ذلك لما عرفنا فصول السنة الأربعة ، ولما عرفنا الأوقات في اليوم والليلة . وقد قيل : إنَّ الشَّمس والقمر مبتدأ خبرُهُ محذوف ، أي «يجريان بِحُسْبانٍ» . وقيل : إنَّ «بِحُسْبان» هو الخبر ، وهو مصدر ؛ مثل : الكُفْران والبُهْتان[4] . وقد أظهر التقابل الدلاليّ بين الشمس والقمر روْنق الكلام ، وأبرز المعنى ، ووضح الدلالة ، وثبَّتها .

وعطف الأرض على السموات في قوله –

تعالى- :(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ۚ لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ)[5] . والدّلاليُّون – كما سبقت الإشارة – يولُون الدّلالة الموقعيّة أهمّيّة في كشف المعنى ؛ فتقديم لفظ السموات على الأرض يرجع إلى أنَّ السموات فيها كثير من الدلائل على عظمة الخالق – سبحانه وتعالى - ؛ " لسعتها وعظمها وما فيها من الكواكب ، وشمسها وقمرها ، وبروجها وعلوها ، واستغنائها عن عمد تقلّها ، أو علاقة ترفعها إلى غير ذلك من عجائبها ، التي الأرض وما فيها كقطرة في سعتها ، ولهذا أمر سبحانه أنه يرجع الناظر البصر فيها كرة بعد كرة ، ويتأمّل استواءها واتّساقها ، وبراءتها من الخلل والفطور ؛ فالآية فيها أعظم من الأرض "[6] .

وعطف النُّحَاسِ على الشُّوَاظِ في قوله – تعالى - : (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ) [7] . وقد ناسب العطف المعنى ؛ فالشُّواظ في اللغة هو اللهب الذي لا دُخان فيه ، والنُّحاس هو الدُّخان الذي لا لهب فيه . وكلاهما يتكوَّن من النَّار. وقيل : هما اللهب[8] . وعلى أيّ ؛ فينبغي تأكيد أنَّ العطف ليس «تكريرا لمجرد التأكيد » - كما تقول الدكتورة عائشة عبدالرّحمن - [9] ، وإنما يكون فيه تنبيه إلى اقتران المعطوف والمعطوف عليه ، مع إضافة العطف دلالة جديدة.

وعطف المرجان على اللؤلؤ في قوله – تعالى - : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [10] . وقد تكلَّم المفسّرون في دلالة الآية ، وهل اللُّؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحْرين ، أو يَخْرج منهما[11] ؛ «فمذهب الفرَّاء أنه إنما يُخرجُ من أحدهما ، وجعله مجازًا . وفي هذا من البُعد ما لا خفاء به على ذي فهمٍ أن يكون «منهما» من أحدهما . وقيل : يُخْرَج إنَّما هو للمستقبل ؛ فيقول : إنه يخرُجُ منهما بعد هذا . وقيل : يُخْرَجُ منهما حقيقةً لا مجازًا ؛ لأنَّه إنَّما يُخْرَج من المواضع التي يلتقي فيها الماء الملح والماء العذب . وقول رابع هو الذي اختاره مُحَمَّد بن جرير وحملَه على

---

(1) الرحمن/٥٦ .

(2) بدائع الفوائد ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ) ، ١١٧/١ . [مطبوعات مجمع الفقه الإسلاميّ بجدَّة ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، تحقيق : علي بن مُحَمَّد العمران ، د.ط ، د.ت] .

(3) الرحمن/٥ .

(4) كتاب مشكل إعراب القرآن ، مكّيّ بن أبي طالب القَيْسيّ (ت ٤٣٧هـ) ، ٤٣٢/٢ . [تحقيق : ياسين مُحَمَّد السَّواس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، د.ط ، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م] .

(5) الرحمن/٣٣ .

(6) ابن القيم وحسّنه البلاغي في تفسير القرآن، د . عبدالفتاح شاهين ، ص ١٠٩ .[دار الرائد ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م].

(7) الرحمن/٣٥ .

(8) مشكل إعراب القرآن ، مكّيّ بن أبي طالب ، ٣٤٤/٢ .

(9) التفسير البياني للقرآن الكريم ، الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، ٨٧/٢ فما بعدها [دار المعارف ، القاهرة ، ط ٥ ، رجب ١٣٨٨ هـ = نوفمبر ١٩٦٨م].

(10) الرحمن/٢٢ .

(11) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنَّى التَّيميّ (ت ٢١٠هـ) ، ٢٤٤/٢ . [عارضه بأصوله وعلَّق عليه : د. مُحَمَّد فؤاد سزكين ، الناشر : مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط ، ١٣٧٤هـ=١٩٥٤م] . وينظر : شرح الجمل ، ابن عصفور ، ٢٧٠/١ .

ذلك التفسير لما كان من تقومُ الحجَّة بقوله قد قال في قوله ﷻ : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) [1] : إنهما بحر السَّماء وبحر الأرض ، وكان اللؤلؤ والمرجان إنَّما يُوجَدُ في الصَّدَف إذا وقعَ المطرُ عليه ، ويدلُّك على هذا الحديث/٢٦١/أ عن ابن عباس قال : إذا مَطَرَت السَّماءُ فَتحتِ الصَّدفُ أفواهها» [2] .

المبحث الثَّاني : الدَّرْس الدّلاليّ لتثنية الأفعال في سورة الرَّحْمن

التَّثْنية خصيصة من خصائص الأسماء ؛ فالذي يُثَنَّى هو الاسم فقط ، أما الفعل فلا يُثَنَّى ولا يُجْمع [3] ؛ «لأنَّ الغرض من التَّثنية والجمع الدلالة على الكثرة ، ولفظ الفعل يعبر عن القليل والكثير ؛ فلم تكن حاجة إلى التثنية والجمع ؛ وذلك نحو قولك : قام زيد ، وضرب زيدٌ عمرًا ؛ فيجوز أنْ يكون قد قام مرَّة ، ويجوز أن يكون قد قام مرارًا ، وكذلك الضَّرْب» [4] .

ذكر سيبويه أنَّ التَّثنية «إذا لحقت الأفعالَ المضارعة علامة الفاعلين لحقها ألف ونون ، ولم تكن الألفُ حرفَ الإعراب ؛ لأنك لم ترد أن تثنِّيَ يَفْعَلُ هذا البناء فتَضمَّ إليه يفعل آخَرَ ، ولكنَّك إنما ألحقته هذا علامة للفاعلَين» [5] . فالفعل لا يثنَّى عند سيبويه ؛ فإذا قلت «يقولان» ؛ فإنَّ الألف ضميرُ الفاعلين اللذين ذكرتهما ، والنُّون علامة الرفع – كما ذكر ابن السَّرَّاج – [6] .

وذهب بعض العلماء إلى أنَّ الفعل قد يُثَنَّى ، بدليل قول امرئ القيس [7] :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حبيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوى بين الدَّخولِ فحومَلِ

إذ قالوا : إنَّ الشَّاعر أراد : (قِفْ قِفْ) ؛ فلم يُكرِّر الفعل مَرَّتَيْنِ بل ثنَّاه فقال (قِفَا) [8] .

وقد حمل بعض العلماء (ألقيا) في قوله – تعالى - : (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) [9] ، على ما حمل عليه بيت امرئ القيس في كون الفعل قد جاء على صيغة التثنية ؛ حيث جاءت صيغة الفعل «ألقيا» ، وكأنَّ الخطاب موجَّه لاثنين ، وهو في حقيقته عندهم موجه لواحد ؛ فإنه أراد بقوله : ألقِ ألقِ ، قاصدًا التوكيد ، ولكنه استغنى بتثنية الفاعل عن تثنية الفعل وتكراره ؛ لأنَّ أقل ما يكون لمن له حال وشرف في ما له وإبله اثنان [10] .

تختلف الألف التي تلحق آخر الأفعال الخمسة عن الأسماء ؛ فبينما هي في الأفعال الخمسة اسمٌ فاعلٌ ؛ إذ هي في الأسماء المثنَّاة حرف [11] . ومعلوم أن التَّثْنية والجمع تتعلَّق بما يُسْنَد إليه الفعل من ضمائر .

ومما ورد من أفعال لحقتها علامة التثنية في سورة الرَّحْمن : الفعل «يَسْجُدان» في قوله – تعالى - : (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) [12] ؛ فهذا الفعل - «يَسْجُدان» - مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النُّون ، لأنه من الأفعال الخمسة ، والألف للتَّثْنية . ذكر الفرَّاء أنَّ العرب إذا جمعت الجمعَيْن من غير الناس جعلوا فعلها واحدًا ، وتثنيته جائزة ؛ فيجوز

---

(١) الرحمن/١٩ .

(٢) إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، ٣٠٧/٤ . [تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربيَّة ، الإسكندرية ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م] .

(٣) شرح المفصل ، موفق الدين يعيش ابن يعيش النَّحوي (ت ٦٤٣هـ) ، ٧/٧ . [عُنيت بطبعه ونشره : إدارة الطباعة المنيريَّة ، القاهرة ، صحَّحه وعلَّق عليه جماعة من العلماء ، د.ط ، د.ت] .

(٤) شرح المفصل ، ابن يعيش ، ٧/٧ .

(٥) الكتاب ، سيبويه ، ١٩/١ .

(٦) الأصول في النحو ، أبو بكر مُحَمَّد بن سهل بن السَّرَّاج النَّحْويّ البغداديّ (ت ٣١٦هـ) ، ٤٨/١ . [تحقيق : د. عبد المحسن الفتليّ ، مؤسَّسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م] .

(٧) شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقشة وأشعارهم ، حسن السندوبي [، مطبعة الاستقامة بمصر ، ط٣ ، ١٣٧٣هـ١٩٥٣م] ، ص ٦٤٣ .

(٨) الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبيّ ، ١٥٨/١٧ . [اعتنى به وصحَّحه الشيخ هاشم سمير البخاريّ ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، مكة ، د.ط ، د.ت] .

(٩) ق/٢٤ .

(١٠) البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات بن الأنباري ، ٢٨٦/٢ . [تحقيق : د. طه عبد الحميد طه ، ومراجعة : مصطفى السَّقَّا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م] . و: الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعُيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ) ، ٥٩٩/٥ . [تحقيق وتعليق ودراسة : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي مُحَمَّد معوَّض ، شارك في تحقيقه : د. فتحي عبد الحميد أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان ، الرِّياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م] .

(١١) نتائج الفكر في النحو ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُّهَيْليّ (ت ٥٨١هـ) ، ص ٨٢ فما بعدها . [حقَّقه وعلَّق عليه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ : علي مُحَمَّد معوَّض ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م] .

(١٢) الرحمن/٦ .

«والنجم والشجر يسجد» ويجوز «والنجم والشجر يسجدان»[1] . ومعنى «يسجدان» : «ينقادان لله – تعالى – فيما خلقا له تشبيهًا بالسَّاجد من المكلَّفين في انقياده»[2] ؛ فالمعنى في سجودهما هو ما في النجم والشجر من آية دالَّة على حدوثهما ، وعلى أنَّ لهما صانعًا أنشأهما ؛ «فما اختلافهما في الشكل والهيئة واللون والمقدار والطعم والرائحة إلا انقيادٌ للقدرة التي أرادت ذلك»[3] . وقد اخْتُصَّ النَّجم والشَّجر بالسُّجود دون الشَّمس والقمر ؛ لأن المراد ظلالهما . وهذا وجه الاختصاص ؛ فمعلوم أَنَّ كلَّ شيء من شمس وقمر ونَجْم وشجر يسجد لله – تعالى -[4] . ولعلك تلحظ الدلالة الماصدقية (extensive) في هاتين الكلمتين اللتين يعود عليهما ضمير التَّثْنية في الفعل «يَسْجُدان» . وهذه الدلالة الماصدقيَّة تتحقَّق ليس لكلّ فرد من أفراد الماصدق فحسب ، بل بالنِّسْبة لكلّ جزء من أجزاء الفرد أيضا .[5]

ومنه الفعل «تَنْتصران» في قوله – تعالى - : (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ) [6] . وقد لحقت الفعل علامة التثنية ؛ لأن الكلام موجَّه للإنس والجنّ ، أي يُصبّ عليكما ألوان من النيران من ذلك اللهب والنحاس المذاب أو الدخان ؛ ولا تستطيعان المهرب من العذاب أو رفعه . من الذي يستطيع من الجنّ والإنس أن يمتنع من الشُّوَاظ والنُّحَاسِ؟[7] . وقد دلَّ اختيار كلمة «تنتصران» المنفية بـ " لا " والمسندة إلى ألف التثنية على منتهى التحدي للمخاطبين معا ؛ فلا ينصر بعضكم بعضا .

ومنه الفعل «تَجْريان» في قوله – تعالى - : (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) [8] ، وقد تكون الدلالة فيه للمشاكلة ؛ إذ العينان تجريان في الآخرة لمن كانت عيناه تجريان بالبكاء من خشية الله وخوفه في الدنيا ؛ «فتجريان في كل مكان شاء صاحبهما وإن علا مكانه ، كما تصعد المياه في الأشجار في كل غصن منها وإن زاد علوها»[9] . وكما ذكر أبو عبيدة «ما بين كلِّ كلِّ شيئين بَرْزخ ، وما بين الدُّنيا والآخرة برزخ»[10] .

ومنه الفعل «يلتقيان» والفعل «يَبْغيان» في قوله – تعالى - : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) [11] . وفي لحاق علامة التثية بالفعلين إشارة إلى مدى دلالة قدرة الله – عزَّ وجلَّ - . فالله – تعالى – أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا يبغي أحدهما على الآخر ؛ فلا

---

(١) معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) ، ١١٢/٣ [عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م] . وينظر : مجاز القرآن ، صنعة أبي عبيدة معمر بن المُثَنَّى التيميّ (ت ٢١٠هـ) ، ٢٤٢/٢ . [عارضه بأصُوله وعلَّق عليه : د. محمَّد فؤاد سزكين ، الناشر : مكتبة الخانجي بمصر ، د.ط ، ١٣٧٤هـ=١٩٥٤م] . وينظر : النُّكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه) ، أبو الحسن علي بن فِضَّال المجاشعي (ت ٤٧٩هـ) ، ص ٤٧٦ . [دراسة وتحقيق : د. عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م] .

(٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧١٠هـ) [، حقَّقه يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب ، ط١ ، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م] ، ٤١٠/٣ . وفي النكت في القرآن ص ٤٧٦ فما بعدها أنَّ معنى يسجدان مختلف فيه على أمور : أحدها : «أنَّ ظلهما يسجد لله بكرة وعشيًّا . هذا قول مجاهد وسعيد بن جبير ، وكل جسم له ظلّ فهو يقتضي الخضوع بما فيه من الصنعة . والثاني : وهو قول الفرَّاء : أنَّهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يميلان حين ينكسر الفيء ؛ فذلك سجودهما بأصناف الرياحين وما في الأشجار من الثمار الشهية ، وصنوف الفواكه اللذيذة ؛ فلا شيء أدعى إلى الخضوع والعبادة بهذه النعمة الجليلة مما فيه مثل الذي ذكرنا في النجم والشجر» . والنَّجم : النَّبات بلا ساق .

(٣) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ١٠٧/٢٧ [شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط١ ، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م] . وينظر : بدائع الفوائد ، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب بن قيّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ) ، ١٠١٩/٣ . [تحقيق : علي محمَّد العمران ، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد ، تمويل : مؤسَّسة سليمان بن عبد العزيز الراجحيّ الخيريَّة ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدَّة ، د.ط ، د.ت] .

(٤) التَّفْسير الكبير ، الرَّازي ، ٩٠/٢٩ .

(٥) علم الدّلالة : دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة ، عادل فاخوري ، ص ٤٥ . [دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، نوفمبر ١٩٩٤ م] . وفي النكت في القرآن ، ص ٤٧٦ فما بعدها أنَّ معنى يسجدان مختلف فيه على أمور : أحدها : «أنَّ ظلهما يسجد لله بكرة وعشيًّا . هذا قول مجاهد وسعيد بن جبير ، وكل جسم له ظلّ فهو يقتضي الخضوع بما فيه من الصنعة . والثاني : وهو قول الفرَّاء : أنَّهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يميلان حين ينكسر الفيء ؛ فذلك سجودهما بأصناف الرياحين وما في الأشجار من الثمار الشهية ، وصنوف الفواكه اللذيذة ؛ فلا شيء أدعى إلى الخضوع والعبادة بهذه النعمة الجليلة مما فيه مثل الذي ذكرنا في النجم والشجر» .

(٦) الرحمن/٣٥ .

(٧) تفسير المراغي ، ١١٩/٢٧ .

(٨) الرحمن/٥٠ .

(٩) تفسير المراغي ١١٩/٢٧ .

(١٠) مجاز القُرآن ، أبو عبيدة ، ٢٤٣/٢ .

(١١) الرحمن/٩-٢٠ .

المالح يطغى على العذب فيجعله مالحًا ، ولا العذب يطغى على المالح فيجعله مثله ؛ فقد حُجِز بينهما بحاجز بحيث لا يبغي أحدهما على الآخر[1] .

ومنه «تُكَذِّبان» في قوله : فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾[2] .فالمخاطب – هنا – الثَّقَلان ؛ «لذكرهما في الآيات من هذه السورة بقوله : سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾[3] ، وبقوله : يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ[4] ، وبقوله :خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴿١٤﴾وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾[5] ، إلى غير ذلك ...»[6] .

ومن السمات الدّلاليّة التي تلفت الانتباه تكرار الفعل «تُكَذِّبان» المنتهية بألف التَّثْنية ، وقد ساعد ذلك التكرار على تحقيق التناسب والانسجام بين اللفظ والمعنى أو بين التركيب والدلالة ، ولذلك كانت الفواصل الأخرى نحو «يلتقيان» ، و«يَبْغيان» ، وغيرهما .

لقد جاءت آية (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ[7]) في مقام التَّذْكير بِنعم الله والتَّنبيه على شُكْره عقب كلّ نعمة ، وتكرّرت إحدى وثلاثين مرَّة من مجموع آيات السورة البالغة ثمانيا وسبعين آية ؛ وأتت فاصلة بين كل نعمتين – وربما نقمة -[8] ؛ تنبيهًا على تلك النعم ، وطلبًا للإقرار بها ، وتبكيتا واضحا للمكذّبين بآلاء الله من الجن والإنس ، وإظهارًا لتعدُّد نعم الله وآلائه على عباده التي لا تُعدُّ ولا تُحْصَى من شمس وقمر ، ونجم وشجر ، وسماء مرفوعة بلا عمد وما فيها من عجائب القُدْرة وغَرائب الصَّنعة ، وأرض وما فيها من زروع وأشجار وفواكه وثمار وسفن وجبال وبحار[9] . وكلما ذكر الله نعمة أراد أن يقرّرها على عباده عباده الثَّقَلين : الإنْس والجِنّ يُكَرِّرُها من باب التَّذكير بها والإقْرار والتَّنْبيه عليها قائلاً : ژ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٠) . وأيًا ما يكن ؛ فقد دلَّ تَكْرار هذه الآية المشتملة على ضمير التَّثْنية في «ربكما» و«تُكذِّبان» على التَّأكيد ، والتنبيه على النعم ، والمبالغة في التَّقْرير ، واتِّخاذ الحُجَّة عليهم ، مع ما لهذا التكرار من قيمة صوتيّة وأثر موسيقيّ في التأثير والإيحاء .[11] .

المبحث الثّالث : الدّرس الدّلالي لتثْنية الأسماء في سورة الرَّحْمن

يُثَنَّى الاسم بزيادة الألف والنُّون أو الياء والنُّون ؛ فيصير مثنًّى تلحقه نون التَّثْنية . وهي – عند جمهور النحويين[12] – بَدَلٌ من الحركة والتنوين .

وذكر الرضي في شرح الكافية رأيًا للفَرّاء مُفَاده أنَّ النُّون في مِثل رَجُلان أُتِيَ بها للتفريق بين الاسم المثنى المرفوع والمفرد المنصوب المنوَّن الموقوف عليه بالألف[13] .

---

(١) تفسير المراغي ، ١١٢/٢٧–١١٣ . وفي الآية إشارة إلى حقيقة علمية لم يدركها العلماء المتخصصون إلا في أواخر القرن التاسع الميلادي " مؤدَّاها أنَّ الماء في البحار المتجاورة ، وحتى في البحر الواحد يتمايز إلى العديد من البيئات المتباينة في صفاتها الطبيعيَّة والكيميائيَّة ، والتي تلتقي مع بعضها البعض دون امتزاج كامل ؛ فتبقى مفصولة على الرغم من اختلاطها وتلاقي حدودها ؛ وذلك لما للماء من خصائص ميَّزه بها الخالق – سبحانه وتعالى – " . تفسير الآيات الكونيَّة في القرآن الكريم ، د. زغلول النجَّار ، مكتبة الشروق الدوليَّة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م ، ٤ / ٥٠ .

(٢) الرحمن/١٣ .

(٣) الرحمن/٣١ .

(٤) الرحمن/٣٣ .

(٥) الرحمن/١٤–١٥ .

(٦) التَّفْسير الكبير ، الرَّازي ، ٩٦/٢٩ .

(٧) الرحمن/١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ .

(٨) فإذا تغيَّرت حال الإنسان من الفقر إلى الغنى أو العكس ، ومن الحياة إلى الموت ، ومن الإعزاز إلى الإذلال ، وهكذا – كان ذلك نعمة تَستَلْزم أن يشكر الله عليها ؛ فكثيرًا ما تَتَحوَّل المِحَنُ إلى مِنَحٍ ، والضِّيق إلى فَرَجٍ ، والعُسْر إلى يُسْرٍ .

(٩) تفسير المراغي ١٠٩/٢٧ . وفي تفسير النسفيّ المسمَّى مدارك التنزيل ٤١٨/٣ «وكرّرت هذه الآية في هذه السورة إحدى وثلاثين مرَّةً ، ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله ، وبدائع صنعه ، ومبدأ الخلق ومعادهم ؛ ثم : سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار ، وشدائدها على عدد أبواب جهنَّم ؛ وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة ، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما . فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة ، وغلّقت عنه أبواب جهنم» .

(١٠) الرحمن/١٣ .

(١١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبيّ ، ١٥٩/١٧–١٦٠ .

(١٢) الكتاب ، سيبويه ، ١٨/١ . و: كتاب المقتضب ، أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) ، ١٤٣/١ . [تحقيق : مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م]، و: شرح الرضي على الكافية ، ٨٨/١ . [طبعة جديدة مصحَّحة ومذيَّلة بتعليقات مفيدة ، من عمل : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط٢ ، ١٩٩٦م] .

(١٣) شرح الرضي على الكافية ، ٨٩/١ .

وقد ردَّ على هذا الرأي صاحب المقتصد ؛ إذ قال إنه : «لو كان الأمر على ذلك وَجَبَ أن يُحْذَفَ في الوقف ؛ فيقال مُسْلِما ، ومُسْلِمُو . وفي حال الألف واللام ؛ نحو : المسلما والمسلمو»[1] . وذكر حالتين في نون التثنية : الأولى : تكون فيها عوضًا عن الحركة والتنوين ؛ كقولك : رَجُلانِ ومُسْلمانِ . إننا نقول في مفردها «مسلمٌ» فيكون مصاحبًا للحركة والتنوين . والحالة الثانية : تكون عوضًا عن الحركة وَحْدَهَا ؛ كقولنا في النداء : يا رجلانِ ؛ فالنون هنا عوض من الحركة وحدها . والدليل على ذلك أننا نقول : «يا رجلُ» ؛ فنجده عاريًا من التنوين .

وكذلك إذا أدخلنا الألف واللام ؛ فقلنا : «الرجلان» ؛ فإنَّ النون تكون عوضًا عن الحركة وحدها ؛ حيث نقول : «الرَّجلُ»[2] .

وقد تنوَّع مجيء المثَنَّى في سورة الرَّحمن ؛ فجاء بصيغة التَّذكير ، كما جاء بصيغة التَّأنيث . وقد وردت التَّثْنية اسمًا في مواضع متعدِّدة على أنحاء مختلفة ، ومنه تثنية اسم الجمع ؛ حيثُ وَرَدَ تثنية اسم الجمع في سورة الرحمن مع أنَّ القياس يأباه ؛ إذ الغرض من الجمع الدَّلالة على الكثرة ، والغرض من التَّثنية الدَّلالة على القِلَّة . فأقل الجمع اثنان[3] . ومنه «البحران» مثنى «البحر» اسم جمع[4] في قوله – تعالى - : مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾[5] .

وفي ذكر البحر إشارة إلى نوعين هما : البحر الحلو العذب والبحر المالح ؛ لقوله – تعالى - : هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ[6] ، وقوله – – تعالى - : مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ[7] ، وقوله – تعالى - : مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ[8] . فالله – سبحانه وتعالى – أرسل البحر المالح والبحر العذب متلاقيين متجاورَيْن ؛ فلا يمتزج أحدهما بالآخر ، ولا يبغي أحدهما على الآخر[9] .

ومنه تثنية الاسم تثنية (ذات) في قوله – تعالى - ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾[10] ؛ فـ«ذَوَاتَا» تثنية «ذات» على الأصل ؛ لأنَّ أصل «ذات» : ذَوَات ، لكن حذفت الواو تخفيفًا وللفرق بين الواحد والجمع ، ودلَّت التثنية ورجوع الواو فيها على أصل الواحد[11] .

ومثله قوله – تعالى - : سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾[12] ؛ فـ«الثَّقَلان» تثنية «ثَقَل» ، وهو اسم لمجموع النوعين الإنس والجنّ ، وإنّما وجّه الخطاب إليهما ؛ لأنَّهما مناط التكليف . ذكر الطَّاهر ابن عاشور أنَّ «الثقل : هو الإنسان ؛ لأنه محمول على الأرض ؛ فهو كالثّقل على الدَّابّة ، وأنَّ إطلاق هذا المثنَّى على الإنس والجنّ من باب التغليب ... وقد عُدَّ هذا اللفظ بهذا المعنى مما يستعمل إلا بصيغة التَّثْنية ؛ فلا يطلق على نوع الإنسان بانفراده اسم الثِّقل ؛ ولذلك فهو مثنَّى اللَّفظ مفرد الإطلاق»[13] . وقد يكون في اختيار «الثَّقَلان» دلالة على أنّه شيء مهمّ ؛ كما قال – تعالى - : " إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا "[14] .

إزالة التوهُّم في التَّثْنية : قد تختلف الصيغة من إفراد إلى تثنية إلى جمع ، ويتغيَّر اللفظ من نصّ إلى آخر . ومن ذلك مجيء

---

(1) كتاب المقتصد في شرح الإيضاح ، عبد القاهر الجرجاني ، ١٨٨/١ . [تحقيق الدكتور : كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، سلسلة كتب التراث (١١٥) ، د.ط ، ١٩٨٢م] .

(2) كتاب المقتصد ، عبد القاهر الجرجاني ، ١٩٠/١ .

(3) قد يكون هذا النوع من المثنَّى للتَّغْليب الذي ينوب فيه أحد الاسمين عن الآخر ؛ مثل «الأبَوان» (الأب والأمّ) ، و«المشرقان» (المشرق والمغرب) ، و«القمران» (القمر والشمس) ، و«الفراتان» (دجلة والفرات) ، و«العُمران» (أبو بكر وعمر) ، وهناك توسُّع فيه ؛ مثل وصف الماء تارة بـ«الأسود» ؛ فيقال : «الأسودان» للتمر والماء ، وتارة بـ«الأبْيَض» ؛ فيقال «الأبيضان» للَّبن والماء .

(4) ينظر: تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، ٤٦٤/٦ . [دراسة وتحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمّد معوض ، شارك في تحقيقه : د. زكريا عبد المجيد النوتي ود. أحمد النجولي الجمل ، قرّظه : د. عبد الحي الفرماوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م] .

(5) الرحمن/١٩ .

(6) فاطر/١٢ .

(7) الكهف/٦٠ .

(8) الفرقان/٥٣ .

(9) مدارك التنزيل ، النَّسَفيّ ، ٤١/٣ . وينظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، ٢٤٣/٢ . و: تفسير المشكل من غريب القرآن ، الإمام مكي بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧هـ) ، ص ٢٥٤ . [تحقيق : د. علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، د.ط ، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م] .

(10) الرحمن/٤٨ .

(11) مشكل إعراب القرآن ، مكّي ، ٣٤٦/٢ . وينظر : همع الهوامع ، السَّيوطيّ ، ١٥٠/١ .

(12) الرحمن/٣١ .

(13) تفسير التَّحرير والتنوير ، الطَّاهر ابن عاشور ، ٢٥٧/٢٧ .

(14) المزمل/٥ .

المشرق والمغرب في سورة الرحمن مثنّيين ، بينما قد وردا في آيات أخرى مجموعين تارةً ، ومفردَيْن تارة أخرى . وفي هذا مدعاة لأن يُتَوهَّم أنَّ ثَمَّة تناقضًا في القرآن بشأن إفراد المشرق والمغرب في قوله – تعالى - رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ [1] ، وتثنيتهما في قوله – تعالى - : رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ [2] ، وجمعهما في قوله – تعالى - : فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ [3] ، وليس هذا بصحيح ؛ فمحال أن يكون في القرآن تناقض أو تعارض ؛ فلكلّ آية دلالة بحسب المورد ، ولكلّ آيةٍ معنى بحسب المقصد ؛ وما تعدّد الصيغ إلا لتعدُّد المستوى العقلي والفكري والثقافيّ للمتلقين ؛ فالتعدُّد والتنوّع والتّغاير في الإفراد والتثنية والجمع كان – كما يقول ابن القيم - ؛ لاختصاص كلٍّ بما يقتضيه من ذلك . يقول «فحيث جُمِعت ؛ كان المراد بها مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة ، وهي متعددة . وحيث أُفْرِدا ؛ كان المراد أفقي المشرق والمغرب . وحيث ثُنِّيا ؛ كان المراد مشرَقي صعودها وهبوطها ومغربَيْها ؛ فإنها تبتدئ صاعدة حتى تنتهي إلى غاية أَوْجِها وارتفاعها ؛ فهذا مشرق صعودها وارتفاعها ، وينشأ منه فَصْلا الربيع والصيف ، ثم ترجع هابطة حتى ترجع إلى غاية حضيضها وانخفاضها ، وهذا غاية هبوطها ، وينشأ منه فصلا الخريف والشتاء ؛ فجعل مشرق صعودها بجملته مشرقًا واحدًا ، ومشرق هبوطها بجملته مشرقًا واحدًا ، ويقابلها مغرباها . فهذا وجه اختلاف هذه الألفاظ في الإفراد والتثنية والجمع »[4] .

وقد نفذ ابن القيم إلى أعماق الدّلالة والمعنى ؛ إذ يذكر أنَّ وجه اختصاص كلِّ موضع بما وقع فيه « بيّن من السياق ؛ فتأمل وروده مثنًّى في سورة الرحمن ؛ لما كان مَسَاق السورة مَسَاق المثاني المزدوجات ؛ فذكر أوّلاً نَوْعَي الإيجاد وهما : الخلق والتعليم ، ثم ذكر سِرَاجَي العالم ومظهر نوره ، وهما : الشمس والقمر ، ثم ذكر نَوْعي النبات ؛ ما قام منه على ساق ، وما انبسط منه على وجه الأرض ، وهما : النجم والشَّجر ، ثم ذكر نوعَي السماء المرفوعة والأرض الموضوعة ، وأخبر أنه رفع هذه ووضع هذه ، ووسَّط بينهما ذكر الميزان ، ثم ذكر العدلَ والظلمَ في الميزان ؛ فأمر بالعدل ونهى عن الظُّلم ، ثم ذكر نوعي الخارج من الأرض وهما : الحبوب والثمار ، ثم ذكر نوعي المكلفين وهما : نوع الإنسان ونوع الجانّ ، ثم ذكر نوعَي المشرقين ونَوْعَي المغربَيْن ، ثم ذكر بعد ذلك البحرين الملح والعذب فتأمّلْ حُسْن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة وجلاله وروده كذلك ، وقدِّر موضعها اللفظ مفردًا ومجموعًا تجِد السمعَ ينبو عنه ويشهد العقل بمنافرته للنَّظم »[5].

ويذكر أنَّ ورودهما مفردان في سورة المزّمل كان ؛ « لما تقدَّمها ذكر الليل والنهار ؛ فأمر رسوله ﷺ بقيام الليل ، ثم أخبره أنَّ له في النهار سبحًا طويلاً ؛ فلمَّا تقدَّم ذِكْر الليل وما أُمِرَ به فيه ، وذِكْر النهار وما يكون فيه عقب ذلك بذكر المشرق والمغرب اللذين هما مظهر الليل والنهار ؛ فكان ورودهما مُفْرَدَيْن في هذا السِّياق أحسن من التَّثنية والجمع ؛ لأنَّ ظهور الليل والنهار بهما واحد ؛ فالنهار أبدًا يظهر من المشرق ، والليل أبدًا يظهر من المغرب ، ثم تأمَّل مجيئها مجموعَيْن في سورة المعارج في قوله – تعالى - : فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ [6] ، لَمَّا كان هذا القَسَم في سياق سَعَة ربوبيته وإحاطة قدرته ، والمقسم عليه هو : إذهاب الشمس التي هي أحد آياته العظيمة الكبيرة ، ونقله – سبحانه – لها وتصريفها كل يوم في مشرق ومغرب ، فمن فعل هذا كيف يُعْجزه أن يُبدِّل هؤلاء ، وينقل إلى أمكنتهم خيرًا منهم ؟!»[7] .

وهذا الجهد الدلالي من ابن القيم يستحق الإشادة ؛ إذ فيه ما يثري الدَّرس الدلاليّ ويغنيه ؛ فحيث يقتضي السياق إتيان الكلمة مفردة استعمل القرآن كلمة المشرق والمغرب ، وحيث يتطلَّب السياق إتيان الكلمة مثنَّاة جاءت بصيغة المثنَّى " المشرقين والمغربين " ، وحيث يقتضي السياق إتيان الكلمة مجموعة جاءت بصيغة الجمع " المشارق والمغارب " ؛ فتعدُّد التعابير والبِنَى كان من أجل مراعاة السياق المناسب في كلِّ موضع ؛ فحيث أُفْرِد اللفظان ؛ فاعتبارًا للجهة أو الناحية ؛ لأنَّ النواحي أربع ، هي : الشرق والغرب والشمال والجنوب . وحيث ثُنِّيا ؛ فاعتبارًا لمشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربهما ، وحيث جُمِعا ؛ فاعتبارًا لتعدُّد المطالع في كلِّ فصل

---

(١) المزمل/٩ .
(٢) الرحمن/١٧ .
(٣) المعارج/٤٠ .
(٤) بدائع الفوائد ، ابن القيم ، ١/٢١١ فما بعدها .
(٥) بدائع الفوائد ، ابن القيم ، ١/٢١١-٢١٤ .
(٦) المعارج/٤٠-٤١ .
(٧) بدائع الفوائد ، ابن القيم ، ١/٢١١-٢١٤ .

من فصول السنة ، أو اعتبارا لمشرق كلّ يوم ومغربه ؛ حيث يتغيَّر شروق الشمس وغروبها كلَّ يوم[1] .

والمشرقان والمغربان المثنَّيان في الآية قد يكون المقصود بهما شُروق الشمس وشُروق القمر ، وغُروب الشمس وغُروب القمر ؛ بدليل قوله – تعالى - : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾[2] . وقد يكون المقصود بهما مشرقَي الشمس وكذلك القمر ، ومغربي الشمس والقَمَر ؛ فأحد المشرقين مشرق الشتاء والآخر مشرق الصيف ، وكذلك المغربان : مغرب الصيف ومغرب الشتاء[3] .

يقول الرازي : «التَّثْنية إشارة إلى النَّوْعين الحاصرين ،كما بيَّنَّا أن كل شيء فإنه ينحصر في قسمين فكأنه قال ربّ مشرق الشمس ومشرق غيرها ؛ فهما مشرقان فتناول الكل ، أو يقال مشرق الشمس والقمر وما يغرض إليهما العاقل من مشرق غيرهما ؛ فهو تثنية في معنى الجمع»[4] .

الأبعاد الدّلالية لتثنية الأسماء في سورة الرَّحْمن : جاءت التثنية في سورة الرحمن لتحقيق دلالات إضافيّة في صيغة المثنَّى. ومن تلك الدَّلالات ما يأتي :

(١) الاقتصاد والإيجاز : وهذه دلالة أصيلة في التَّثْنية ؛ حيث تقومُ الزِّيادة بالألف والنُّون أو الياء والنُّون مقام العاطف والمعطوف عليه ؛ فبدلاً من أن نقول : «جَاءَنِي الرَّجُل والرَّجل» نقول : «جاءني الرَّجُلانِ» . ولا شكَّ أنَّ « الرَّجُلانِ» أوجز من « الرَّجُل والرَّجل». يقول عبد القاهر الجُرْجانيّ : «اعلم أنَّ التَّثْنِية والجَمْعَ يُقْصَدُ بهما الاختصارُ والإيجاز . فكان الأصْلُ أن يُقَالَ : جاءَنِي زَيْدٌ وَزَيْدٌ إلاَّ أَنَّهم رَأَوا ذلك يطولُ إذا كان التَّثْنية يَتْبَعُهَا الجَمْعُ ، فكان يَجِبُ أنْ يُقَالَ زَيْدٌ وَزَيْدٌ وَزَيْدٌ إلى ما يطولُ جِدًّا ، فقالوا : الزَّيْدانِ والزَّيْدُونَ ؛ فجعلُوا الألفَ والواوَ عِوَضًا عن ضَمِّ الاسمِ إلى الاسم ؛ فحصلَ المَعْنَى مع اختصارِ اللَّفْظ»[5] . ومن ذلك في سورة الرَّحْمن «عَيْنَانِ» في قوله – تعالى - : فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾[6]، وقوله – تعالى - : فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾[7] ؛ حيث أَغْنَت التَّثْنية عن العطف «عطف الكلمتين المتناظرتَيْنِ ، وأفادت الإيجاز بالاكتفاء بلفظ واحد ؛ فـ «عَيْنَانِ» أوجز من «عَيْن» و«عَيْن»» . وتلك الدلالة للتَّثْنية إحدى المظاهر المهمة للاقتصاد في اللُّغة .

(٢) التعدُّد والتكثير : قد يراد بالتثنية التكثير ، ومن ذلك قوله ﷻ : وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾[8] ؛ حيث ذهب الزَّمخشريّ[9] إلى أنهما جنَّة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي . وقيل إنَّ الخطاب موجَّه للثقلين ؛ فكأنه قيل إنَّ لكل طائفة منكم جنتين : جنة للإنس وجنة للجنّ ، وكأنه قيل : لكل خائفين منكما جنتان : جنة للخائف الإنسيّ ، وجنَّة للخائف الجنِّي .

فالجنتان جزاء للخائفين لمقام ربهم . ولما كان هؤلاء نوعين : مقربين ، وأصحاب يمين ، ذكر جنتي المقربين أولاً ، ثم جنتي أصحاب اليمين وعلى أي نفي ذكر الجنتين دلالة على كرم الله عباده بأن منحهم لا جنة واحدة بل أكثر .

واتَّسع ابن عاشور[10] في تأويل (جَنَّتانِ) ؛ حيث ذهب إلى أنه يجوز أن يكون المراد : جِنسين من الجنَّات ، كما يجوز أن تكون التَّثْنية مستعملة كناية عن التعدُّد ، ولهذا نظائر في

---

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السَّيُّوطيّ (ت ٩١١هـ) ، ٤٨٢/٣ . [ضبطه وصحَّحه وكتب فهارسه : أحمد شمس الدِّين ، دار الكعب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م] .

(٢) الرحمن/٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السَّيري (ت ٣١١هـ) ، ٩٩/٥ . [شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م] . وينظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، ٢٤٣/٢ .

(٤) التفسير الكبير ، الرَّازي ، ١٠٠/٢٩ .

(٥) كتاب المقتصد في شرح الإيضاح ١٨٣/١ ، عبد القاهر الجُرْجانيّ ، ١٨٣/١ . [تحقيق : د. كاظم بحر المرجان ، دار الرَّشيد للنشر ، العراق ، د.ط ، ١٩٨٢م] .

(٦) الرحمن/٦٦ . وقد دلَّت العَيْنانِ النَّضَّاختانِ على الدلالة المقصودة ؛ إذ العَيْنانِ النَّضَّاختانِ هما العَيْنانِ الفَوَّارتانِ الفيَّاضتانِ. تفسير القرآن العظيم ، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عُمر بن كثير القُرشيّ الدّمشقيّ (ت ٧٧٤هـ) ، ٥٠٧/٢ . [تحقيق : سامي بن مُحَمَّد السَّلامة ، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع ، الرِّياض ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م] . والنَّضخ أقل من الجري الذي وصفت به العينان الأوليان في قوله – تعالى - : ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾** ﴾ . وهذا مناسب لحال الجنَّتيْن الأخيرتين ، وأنّهما أقل قدرا من الجنتين الأوليين.

(٧) الرحمن/٥٠ .

(٨) الرحمن/٤٦ .

(٩) الكشَّاف ، ٤٨/٤ . وقد ذُكِرَت الجنَّات في القرآن بصيغة الجمع غير مرة ، ينظر : البرهان في علوم القرآن ، الزركشيّ ، ص ٦٢٥ ، وينظر : مدارك التنزيل ، النَّسَفِيّ ، ٤١٦/٣ .

(١٠) تفسير التحرير والتنوير ، الطَّاهر ابن عاشور ، ٢٦٤/٢٧-٢٦٥ .

الكلام الفصيح ، وفي القرآن الكريم قال – تعالى - : ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [1] ، ومنه قولهم : «لَبَّيْكَ» ، و«سَعْدَيْكَ» ، و«دَوَالَيْكَ» .

ويرى الفرّاء أنه يريد بالتَّثْنية المفرد ، يعني جنة ، واحتجَّ في ذلك برواية بعضهم : ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرَّتَيْنِ . ثم قال : قَطَعْتُهُ بالسَّمْتِ لا بِالسَّمْتَيْنِ ، حيث قال «قطعته» ؛ لأنه يريد مَهْمَهًا واحدًا[2] .

ولم يعجب هذا الرأي صاحب «كشف المشكلات» ؛ فذهب إلى أنَّ به تعسُّفًا ؛ «لأنه لا مانع من أن يكون لمن خاف مقام ربه جنَّتان بل جنان . وقد جاء في هذه السورة أنَّ لهم أربع جنان . ألا تراه قال من بعد (وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ [3] ؛ فقوله : وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ [4] إلى قوله : مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ [5] [5] يكون «متكئين فيه حالاً مِن (مَنْ) المجرورة باللام ، أي لهم لهم جنتان في هذه الحالة . وما بين قوله (جنتان) إلى قوله (متكئين) صفات للجنتين من قوله (ذواتا أفنان) ، أي : جنتان ذواتا أفنان ، ثابت فيهما عينان تجريان ، ثابت فيهما زوجان من كل فاكهة متكئين على فرش»»[6] .

وقد تعجَّب ابن قتيبة [7] من حَمْل كتاب الله على الشعر ؛ فيقول : «وهذا من أعجب ما حُمِل عليه كتاب الله . ونحن نعوذ بالله من أن نتعسَّف هذا التعسُّف ، ونجيزَ على الله – جلَّ ثناؤهُ – الزِّيادة والنقص في الكلام ؛ لرأس آية . وإنما يجوز في رؤوس الآي : أن يزيد هاءً للسكت ؛ كقوله : وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ [8] ، وألفًا ؛ كقوله : الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ [9] . أو يحذف همزةً من الحرف ؛ كقوله : وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ [10] ، أو ياءً ؛ كقوله : وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ [11] ؛ لتستوي رءوس الآي ، على مذاهب العرب في الكلام : إذا تمَّ ؛ فآذَنَتْ بانقطاعه وابتداء غيره ؛ لأنَّ هذا لا يُزيل معنًى عن جهته ، ولا يزيد ولا يَنْقُص . فأمَّا أن يكون الله ﷻ وَعَدَ جنتين ؛ فيجعلها جَنَّةً واحدة من أجل رءوس الآي ؛ فمعاذَ اللهِ! . فكيف يكون هذا . وهو – تبارك اسمه – يصفُها بصفات الاثنين ؛ فقال : ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ [12] ؛ ثم قال : «فيهما ...» ، «فيهما ...»؟! . ولو أنَّ قائلاً قال في خَزَنَة النَّار : إنهم عشرون ، وإنما جَعَلهم تسعة عشرَ لرأس الآية – كما قال الشاعر : نحنُ بَنُو أمِّ البنينَ الأَرْبَعَة . وإنما هم خمسة ؛ فجعلهم للقافية أربعة : ما كان في هذا القول إلا كالفراء»[13] .

وينبغي الإشادة بهذا الجهد لعلمائنا - رحمهم الله - في إدراك دلالة هذه اللفظة المثنَّاة « جنَّتان » وتفسير المراد بها ، وهل هما جنَّة واحدة أو جنَّتان ، أو أكثر ؟ . ولعلَّ السياق والملابسات يكون سبيلا إلى إدراك الدّلالة المقصودة ، « ولا يكون تفاعل المعنى النحوي الأولي ودلالة المفردة الأولية كافيا في تحديد المقصود منها على وجه الدّقة »[14] .

ومن التَّثْنية للكَثْرة تثنية «زَوْجَانِ» في قوله – تعالى - : فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ [15] وقد اختيرت هذه الكلمة «زَوْجَانِ» دون غيرها من الألفاظ المتقاربة ؛ مثل : «صِنْفان» أو «نوعان» أو «شكلان» ؛ حيث إنَّ هذه الكلمة تستوعب غيرها من الكلمات ، ولا يستوعبها غيرها ، وقد جاءت متناسقة مع مقتضيات الحال ؛ فالزَّوج – هنا – النَّوع أو الشَّكْل أو الصِّنْف . وأنواع الفواكه في الجنَّة متعدِّدة ، وأصنافُها كثيرة . وليس لكلِّ فاكهة نوعان ، بل أنواع كثيرة ممَّا يعلمون وخيرٌ مما يعلمون ؛ ففي الجنَّة ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا

---

(1) الملك/٤ .

(2) كشف المشكلات ، الأصبهاني ، ١٣٠٧/٢ . و: تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة ، ص ٤٣٩-٤٤٠ . والمهْمه : القفر المخوف ، والقذف : البعيد من الأرض ، والظهر ما ارتفع من الأرض . وقوله : «قطعته بالسمت لا بالسمتين» . قيل أي مرة واحدة فاكتفيت ، أي لم يحتج إلى التكرير لحذفه ومعرفته ، وقيل قطعته على طريق واحد لا على طريقين . ينظر : اللسان لابن منظور .

(3) الرحمن/٦٢ .

(4) الرحمن/٤٦ .

(5) الرحمن/٥٤ .

(6) كشف المشكلات ، الأصبهانيّ ، ١٣٠٨/٢-١٣٠٩ .

(7) تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة ، ص ٤٤٠-٤٤١ . وينظر : أسرار ترتيب النظم القرآني في مطلع سورة الرحمن في : تفصيل النشأتين ، الراغب الأصفهاني ، ص ١٥٠-١٥٣ .

(8) القارعة/١٠ .

(9) الأحزاب/١٠ .

(10) مريم/٧٤ .

(11) الفجر/٤ .

(12) الرحمن/٤٨ .

(13) تفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة ، ص ٤٤٠-٤٤١ . وينظر : أسرار ترتيب النظم القرآني في مطلع سورة الرحمن في : تفصيل النشأتين ، الراغب الأصفهاني ، ص ١٥٠-١٥٣ .

(14) النحو والدلالة ، د . محمد حماسة عبداللطيف ، ص ٦٠ .

(15) الرحمن/٥٢ .

خَطَر على قَلْبِ بَشَرٍ[1] . تارةً يكون شكل الفاكهةِ معروفًا ، وأخرى يكون غريبًا . وتارةً تكون الفاكهةُ حلوة ، وأخرى تكون حامضةً . وتارةً تكون بيضاء ، وأخرى تكون حَمْراء ، أو صَفْراء ، أو خَضْراء ، أو سَمْراء . وتارةً تُؤكَلُ رطبةً ، وأخرى تُؤكَلُ يابِسَةً . ولاشك أنَّ اختلاف أنواع الفاكهة ، وتعدُّد أشكالها ، وتنوُّع أصنافَها ألَذُّ للْعَيْن ، وأشهى للفمّ[2] .

(٣) التَّهديد والتَّخويف : وقد وردت دلالة التَّهديد والتحذير الشديد في مثل قوله – تعالى -: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾[3] ؛ ففي هذه الآية تهديد جليّ ووعيد واضح للثقلين : الإنس والجنّ . وقد عمد القرآن إلى اختيار هذه الكلمة «الثَّقلان» - على وزن «الفعلان» - دون سواها من ألفاظ تسدّ مسدَّها ؛ كـ«المكلَّفان» ، لأنَّها لا تعطي الدلالة المتميّزة تلك الكلمة . ذكر المفسّرون أنَّ الإنس والجن قيل لهما الثقلان ؛ لثقلها على الأرض ، لكن الإنس والجن ليسا بأثقل من غيرهما . ومنهم من قال إنهما سُمّيا بالثَّقلين ؛ لثقل كواهلهم بالتكاليف ؛ لأنَّ الإنس والجنّ هم المكلفون من بين الخلائق ؛ فلم يكلّف غيرهم[4] . يقول صاحب النُّكت في القرآن : «والثَّقلان : الإنس والجنّ ، سمّيا بذلك لِعِظم شأنها إلى ما في الأرض من غيرهما ؛ فهو أثقل وزنًا لعظم الشأن بالعقل والتَّمْكين والتَّكليف لأداء الواجب في الحقوق»[5] .ولعلَّك تلحظ الترابط الدّلاليّ بين طرفي الآية : الفعل «سنفرغ لكم» في مطلع الآية ، وتثنية «الثقلان» في خاتمتها. وهذا كله يؤكّد أنَّ النَّظْمُ القُرْآنِيُّ نَظْمٌ مُحْكَمٌ بَدِيعٌ ؛ وكلُّ لَفْظَةٍ لَهَا دَلالةٌ في أصل وضعها لا تَتَّضح إلا إذَا رُكِّبَتْ مع غَيْرِها ؛ فيكسبها الاستعمال والتَّركِيبِ والسياق معناها.[6]

(٤) رعاية إيقاع الفاصلة : حيث ساعدت التثنية في فواصل سورة الرحمن على إنتاج نغمة صوتيَّة عذبة الإيقاع ، بحيث أتَتْ أصوات خواتيم السورة منسجمة انسجاما صوتيّا : متطابقا أحيانا ، ومتقاربا أحيانا أخرى ؛ فجلّ فواصل السورة جاء منتهيا بالنُّون أو بالميم أو بالرَّاء المسبوقة بالمدّ ، وكلها حروف موسيقيّة بطبيعتها ، وقد أضفت نغما منتظما على الكلام ، وأسهمت في إحداث نوع من الشجن في السورة الكريمة.

لكن ينبغي التأكيد هنا أنه لم تأت الكلمات المثنَّاة فاصلة من أجل مراعاة هذه القيمة الجماليَّة وحدها ، بل جاءت جامعة بين حقِّ المعنى وحقِّ اللفظ في أجمل تعبير وأبلغ موضع . ومن ذلك «الثَّقلانِ» في قوله – تعالى - : سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾[7] ؛ حيث ظهرت الدلالة الإيحائيَّة للكلمة المثنَّاة «الثَّقَلانِ» ، والمراد بها الإنس والجنّ ؛ لكونهما مثقلين بالذُّنوب ، أو لكونهما ثقيلين على وجه الأرض[8] . وقد ختمت الفاصلة بالألف الممدودة والنُّون اللَّتَيْن أسْهمتا في اطِّراد الموسيقى بين فواصل الآيات الكريمة ؛ حيثُ تتوازى فاصلة الآية الكريمة مع فواصل الآيات السَّابقة عليها واللاحقة لها .

وقد ساعدت الإمكانات النحوية ؛ كالتَّقْديم والتَّأخير ، والحذف – كلمة الفاصلة على أنْ تأتي مستقرَّة في مكانها مطمئنَّة في قرارها ؛ ومن ذلك قوله – تعالى - : بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾[9] ؛ فـ«يَبْغيان» المنتهية بالألف والنون : إذا كانت من البَغْي بمعنى الظُّلْم كان المعنى : لا يظلمُ أحدهما الآخر ، ولا يبغي أحدهما على الآخر . وإذا كانت من البغي بمعنى الطَّلَب ، أي لا يَطْلُبَانِ شَيْئًا . وعلى هذا فإنَّ مفعوله محذوف تقديره «أحدًا» أو «شيئًا»[10] . وقد سَاعَدَ حذفُ المفعول به على أن تذهب النَّفْس كُلَّ مَذْهبٍ ؛ حيث لا مفعول معيّن للفعل «يَبْغِيان» ،كما ساعد كذلك على تحقيق التناسب اللطيف في الفاصلة لتأتي منسجمة مع فواصل الآيات السابقة واللاحقة[11] .

ومن إيثار صيغة التَّثْنية في سورة الرحمن ؛ لمراعاة الفواصل السَّابقة واللاحقة : مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾[12] . وقد اختار القرآن هذه اللفظة المثنَّة «مدهامتان» دون سواها ؛ مثل : «سوداوان» ، أو «خضراوان» ؛ لأنَّها تستوعب الخضار والسواد معا. وقد شكَّلت هذه الكلمة آية كاملة جاءت وصفا للجنتين - «جنتان»- المذكورتين قبلها .

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٥٠٣/٧ .
(٢) تفسير التَّحرير والتَّنْوير ، الطَّاهر ابن عاشور ، ٢٦٦/٢٧ .
(٣) الرحمن/٣١ .
(٤) الكشاف ، ٤٧/٤ . و: تفسير المراغي ، ١١٨/٢٧ . و: جنى الجنَّتين ، المحبّي ، ص ٣١ . و: التفسير الكبير ، الرَّازي ، ١١٣/٢٩ . و: مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، ٢٤٤/٢ .
(٥) النُّكت ، المجاشعيّ ، ص ٤٧٧ .
(٦) علم الدلالة ،كلود جرمال ، ص ٤٤ .
(٧) الرحمن/٣١ .
(٨) التَّفسير الكبير ، الرَّازيّ ، ١١٣/٢٩ .
(٩) الرحمن/٢٠ .
(١٠) التفسير الكبير ، الرَّازي ، ١٠٢/٢٩ .
(١١) التفسير الكبير ، الرَّازي ، ١٠٢/٢٩ .
(١٢) الرحمن/٦٤ .

إنَّ أيّ كلمة لا تستطيع أن تؤدّي الدلالة التي تؤدّيها الكلمات المختارة ، بدلالة الاتفاق بين بعض الفواصل أحيانا ، والتغاير بينها أحيانا أخرى . فبالإضافة إلى الدلالة اللفظية المتمثّلة في تحقيق الانسجام الصَّوْتيّ في استعمال الكلمة المعيَّنة دون سواها ، هناك المعاني والدلالات .

ومنه : فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ [1] ؛ حيث تقدَّمت «من كل فاكهة» التي هي بيان للمبيّن «زوجان» . وقد ساعد العدول عن الرّتبة بالتقديم والتأخير على إقامة الفاصلة ، وحقَّق قدرا من التناسب بين كلمات الآية أدَّى إلى التماسك مع النصّ القرآني كلّه[2] .

المبحث الرّابع : الدّرس الدلاليّ لتثنية الحُروف في سورة الرّحْمن

اتَّصل ضمير التَّثْنية بالحرف في سورة الرحمن ؛ مثل : «في» في قوله – تعالى - : فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ [3] ؛ حيث اتَّفَقَ ضمير التَّثْنية فيه مع مرجِعه ، و«مِنْ» في قوله – تعالى - : يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ [4] ؛ حيث أضيف الخروج إلى البحرين العذب والمالح ، وقد قيل : إنَّ اللؤلؤ لا يخرج إلا من البحر المالح لا من الماء العذب. ومن ثمَّ اختلف الضمير مع مرجعه . وقد ذكر ابن خالويه ثلاثة أجوبة في قوله «منهما» بضمير التَّثْنية [5] : الجواب الأوَّل : «أنه أراد – تعالى - : يخرج منه ؛ فقال : «منهما» ؛ كما قال – تعالى - : وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ [6] . وإنما الرُّسل من الإنْس لا مِنَ الجِنّ . والجواب الثَّاني : أن يكونَ قد خَرَج اللُّؤلُؤ من العَذْبِ مَرَّةً ويخرجه الله منه ، وإن لم يكن معتادًا كثيرًا ككثرة الملح . والجواب الثالث : أنه لا تتكون في الصَّدَفَةِ اللُّؤلؤةُ إلا بقطر السَّماء إذا أمطرت ، ويعني بالبَحرين بحرُ السَّماء وبحرُ الأرض ، وبينهما بَرْزَخٌ أي حاجزٌ لا يَبْغيان أي لا يَبْغي الملح على العذب فيصير ملحًا»[7] .

وأرى أنَّ صيغة التَّثْنية في قوله – تعالى - : يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ [8] قد جاءت والمراد المفرد ؛ حيث قال : «منهما» يريد النهر والبحر . وإنما يخرج «اللؤلؤ والمرجان» من أحدهما وهو البحر دون النهر[9] .

وينبغي هنا الإشارة إلى قضية مهمة هي :العُدول في التَّثْنية في سُورة الرَّحمن ؛حيث إنَّ الأصل أن يُسْتَعمل المثنَّى في مقام التَّثْنية . لكن قد يُعْدَل عن هذا الأصل في صيغة التَّثْنية ؛ فَيُسْتَعمل المفرد في مقام التثنية ، أو التَّثْنية في مقام المفرد ، أو الجمع في مقام التثنية ، أو التَّثنية في مقام الجمع ، مع وجود قرينة تدلُّ على ذلك ؛ لاعتبارات معيَّنة يقتضيها سياق المقام . وقد عدَّ أبو عبيدة هذا الخروج عن النمط الأصلي أحد أشكال المجاز في القرآن الكريم . يقول : «ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع ، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين ، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد ، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد ... وكُلُّ هذا جائز قد تكلَّموا به»[10] .

ومن وقوع الجمع مع إرادة التثنية في سورة الرحمن قوله – تعالى - : فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ [11] ، بإسناد فعلي الاستطاعة والنفاذ إلى ضمير الجماعة «استطعتم» «تنفذوا» ، لا إلى ضمير التَّثْنية «استطعتما» «تنفذا» ، ولو كان لكان صوابًا – كما يذكر الفرّاء -[12] ؛ فالجمع – هنا – للحمل على المعنى . ويمكن فهم ذلك في ضوء دلالة المفردات ومعني الجمل وسياق

---

(1) الرحمن/٥٢ .

(2) تفسير التحرير والتنوير ، مُحَمَّد الطَّاهر ابن عاشور ، ٢٦٧/٢٧ . [الدار التُّونسيَّة للنشر ، تونس ، د.ط ، ١٩٨٤م] .

(3) الرحمن/٥٠ .

(4) الرحمن/٢٢ .

(5) إعراب القراءات السَّبع وعللها ، أبو عبد الله الحُسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) . [حقَّقه وقدَّم : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م] .

(6) الزمر/٧١ .

(7) إعراب القراءات السبع وعللها ، ابن خالويه ، ٣٣٥/٢ وعلى أيّ ؛ فإنَّ تثنية الضمير قد يكون من باب التغليب الذي يغلب فيه أحد الجانبين على الآخر ؛كالعُمران في أبي بكر وعمر . أي : " واحد منهما " . وقد يكون على حذف مضاف ، والتقدير : " من أحدهما " . وهناك رأي ثالث يرى إبقاء الآية على ظاهرها ؛ فلا يكون هناك تغليب أو حذف . فـ " منهما " : يراد بها : منهما جميعا يخرج اللؤلؤ والمرجان ، وإن امتاز المالح بأنَّه أكثر وأطيب. ينظر : تفسير المراغي ، ٢٧ / ١١٣ .

(8) الرحمن/٢٢ .

(9) معاني القُرآن ، الفرَّاء ، ١١٥/٣ .

(10) مجاز القُرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ (ت ٢١٠هـ) ، ١٨/١-١٩ .

(11) الرحمن/٣٣ .

(12) معاني القرآن ، الفرَّاء ، ١١٦/٣-١١٧ .

الكلام . وهذا العدول باستعمال ضمير الجمع مناسبٌ لمقام الوعيد والتهديد الذي تكشف عنه دلالة الآية .

إنَّ الحمل على المعنى «وسيلة دلاليَّة بارعة ربطت بين بناء الجملة وبنيتها أو بين سطحها وعمقها في منهج النحاة العرب ، وكشفت عن دور المعنى أو الدلالة في التقعيد النحوي أيّا ما كان اتساع هذا المعنى الذي يحمل عليه الكلام أو ضيقه ، وبذلك يعدّ الحمل على المعنى وسيلة أكثر شمولا من كل ما لجأ إليه النحاة في منهجهم ؛ مثل التقدير والتأويل والإضمار أو الحذف ؛ لأنه وراء كل هذه الوسائل المختلفة ، وهي جميعا وسائل منهجيَّة لتصحيح اللفظ المنطوق ليطابق المعنى المراد ، وهي تشير – كما يرى هنري فليش – إلى أنَّ علم التراكيب كان بالأحرى تفسيرا للعلاقات الدلالية الكامنة وراء القول ، بدلا من أن يكون دراسة للوحدات المستعملة في القول »[1]

وقد جاء التعبير بالجمع عن المثنَّى في قوله – تعالى - : فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ [2] . فقد عاد ضمير الجمع في " فيهن "على المثنَّى ؛ إذ يعود على على الجنّتين . والجمع – هنا – باعتبار أنَّ لكلّ واحد من الناس جنَّة خاصة به . أي أفي جنَّة كلّ واحد ممن هو في هاتين الجنتين قاصرات الطرف .

وقوله – تعالى - : يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ [3] ؛ حيث لم يَقُلِ اللهُ – تعالى - : «عليكم شواظٌ من نارٍ ونحاسٌ فلا تنتصرون» ؛ فَثَنَّى في «عليكما» ، وفي «تَنْتَصِران» ؛ حملاً على اللفظ[4] .

نتائج البحث

انتهى الباحث إلى ما يأتي:

١ - تنفرد سورة الرَّحمن عن بقيَّة سور القرآن بشيوع ظاهرة التَّثْنية؛ فهي إحدى الظَّواهر اللاَّفتة للنَّظَرِ. وقد شَكَّلت إطارًا عامًّا انْتَظَم السُّورة ، كما أنَّها أعطت نماذج ثَرِيَّة عَنْ خَلْق الإنْسِ والجنِّ ، والشَّمْس والْقَمر ، واللُّؤلؤ والمرجان ، والسَّمَوات المرفوعة بغير عمدٍ والأرْض ، وغيرها من المقابلات الكثيرة في السُّورة .

٢ - تنوَّع أُسْلُوب القرآنِ في التَّعْبِير عن المعنى الواحدِ ؛ فتارةً يُفْرِدُ ، وأُخْرَى يُثَنِّي ، وثَالِثَةً يَجْمَعُ . وكُلُّ صيغة مختارة تَتَوافَقُ مع دَلاَلَةِ السِّياقِ الوارِدَةِ فِيهِ .

٣ - جاءت معاني التَّثْنية في سُورة الرَّحمن متناسبة بين افتتاح السُّورة وخاتمتها مِنْ جانبٍ والآياتِ الدَّاخِلِيَّة من جانبٍ آخر .

٤ - البَحْثُ في التَّثْنِية صَرْفِيٌّ ونَحْوِيٌّ في الأَسَاسِ ، لكن يَنْبَغِي الإفادة مِن مُعطيات الدّلالة والمَعَانِي ؛ لِمَا للدَّلالة من دَوْرٍ مُهِمٍّ في الكَشْف عن أسرارِ الآيات القُرْآنِيَّةِ .

٥ - جمعت سُورة الرَّحمن بين جمال الشكل وإبداع الدّلالة في أحسن صورة ؛ فمُعْظمُ الآياتِ جاءَتْ مُنْتَهِيةً بالألِف والنُّون (التي هي مَقْطَعٌ أساسيٌّ للمُثنَّى) ؛ لتدلَّ على امتداد ظُهُور المعنى الموجودِ في الكلمات . وقد أضفى وُجودُها جمالاً على الصِّيغَة وحُسْنًا على التَّركيب .

٦ - تنوَّعت فواصل سُورة بين النون في مثل «الرَّحمن» ، «الإنْسَان» ، «البيان» ، والميم في مثل «الأعْلام» ، «الإكْرام» ، والرَّاء في مثل : «الفخَّار» ، و«نَار» ...إلخ . وكان للتثنية دورٌ مُهمّ في إقامة فواصل السُّورة . وقد ساعدت الإمكانات النَّحْويَّة - ؛ كالحذف ، والتقديم والتأخير ، وغيرها – على الانسجام الصوتيّ ، إضافة إلى ما يستنبط من دلالات.

التوصيات :

١- ضرورة نفض الغبار عن التراث العربي، والعمل على إبراز وجهه المضيء المتمثل في المعنى.

٢- ضرورة زيادة البحوث التطبيقيّة في المجال الدلالي.

---

(١) النحو والدّلالة : مدخل لدراسة المعنى النحوي الدّلاليّ ، د . محمّد حماسة عبداللطيف ، ص ١٥٨. وينظر : [دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م] .

(٢) الرحمن/٥٦ .

(٣) الرحمن/٣٥ .

(٤) معاني القرآن ، الفرَّاء ، ٣/١١٦-١١٧ .

المراجع

- القرآن الكريم .
- ابن القيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن، د . عبدالفتاح شاهين ، دار الرائد ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .
- إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م .
- أدب الكاتب ، تأليف أبي مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدّينوري (ت ٢٧٦هـ) ، شَرَحه وكَتَب هوامشه وقدَّم له الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .
- أسئلة بيانيَّة في القرآن الكريم ، د . فاضل صالح السامرائي ، مكتبة الصحابة ، الشارقة ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م .
- أسرار العربيَّة ، عبد الرَّحمن بن مُحَمَّد بن عبد الله الأنْباريّ (ت ٥٧٧هـ) ، دراسة وتحقيق : مُحَمَّد حسين شمس الدّين ، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م .
- إصلاح المنطق لابن السِّكِّيت (ت ٢٤٤هـ) ، شرح وتحقيق : أحمد مُحَمَّد شاكر وعبد السلام مُحَمَّد هارون ، دار المعارف بمصر (ذخائر العرب) ، د.ط ، د.ت .
- الأصول في النحو لأبي بكر مُحَمَّد بن سهل بن السَّرَّاج النَّحْويّ البغداديّ (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتليّ ، مؤسَّسة الرِّسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٧هـ=١٩٩٦م .
- أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة ، د. نايف خرما ، عالم المعرفة ، يصدرها المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د ط ، ١٩٧٨ م .
- إعراب القراءات السَّبْع وعِلَلها ، أبو عبد الله الحُسَيْن بن أحمد بن خالويه الهَمَذَاني النَّحويّ الشَّافعيّ (ت ٣٧٠هـ) ، حقَّقه وقدَّم له : د. عبد الرَّحمن بن سليمان العُثَيْمين ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م .
- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن إسماعيل النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، مكتبة النَّهضة العربيَّة ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .
- إعراب القرآن الكريم ، د. محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعيَّة ، الإسكندريَّة ، د.ط ، د.ت .
- أمالي ابن الشَّجري ، هبة الله بن عليّ بن محمَّد بن حمزة الحسني العَلَويّ (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق ودراسة : د. محمود مُحَمَّد الطناحي ، النَّاشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، د.ط ، د.ت .
- الانتصار للقُرآن ، القاضي أبو بكر ابن الطَّيِّب الباقِلاَّني (ت ٤٠٣هـ) ، تحقيق : د. مُحَمَّد عصام القضاة ، دار ابن حزم ، بيروت ، دار الفتح للنَّشر والتَّوزيع ، عَمَّان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .
- الإيضاح في شرح المفصَّل للشَّيْخ أبي عمرو عثمان بن عُمر المعروف بابن الحاجب النَّحْويّ (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق وتقديم : د. موسى بناي العليلي ، مطبعة العاني ، بغداد (الكتاب الخمسون «إحياء التراث الإسلامي») ، د.ط ، د.ت .
- بدائع الفوائد ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ) ، تحقيق : علي بن مُحَمَّد العمران ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلاميّ بجدَّة ، دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوْزيع ، د.ط ، د.ت .
- البرهان في توجيه متشابه القُرآن لما فيه من الحُجَّة والبيان ، تأليف : برهان الدِّين أبي القاسم محمود بن

حمزة بن نصر الكرماني (تاج القُرَّاء) (ت ٥٠٥هـ) ، تحقيق وشرح وتعليق : د. السيد الجميلي ، مركز الكتاب للنَّشْر ، القاهرة ، آمون للطِّبَاعة والتجديد ، د.ط ، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م .

- البرهان في علوم القرآن ، تأليف : الإمام بدر الدين محمَّد بن عبد الله الزَّرْكشيّ (ت ٧٩٤هـ) ، تحقيق : أبي الفَضْل الدِّمياطيّ ، دار الحديث للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ط ، ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د . محمَّد أبوموسى ، ص ٣٦٦ ، دار الفكر العربيّ ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

- البلاغة والأسلوبيَّة ، محمَّد عبدالمطّلب ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، الشركة المصريَّة العالميّة للنشر – لونجمان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

- البيان في غريب إعراب القرآن ، تأليف : أبي البركات بن الأنباريّ ، تحقيق : د. طه عبد الحميد طه ، ومراجعة مصطفى السَّقَّا ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ، القاهرة ، د.ط ، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م .

- تأويل مشكل القرآن لابن قُتَيْبة (ت ٢٧٦هـ) ، شرحه ونَشَره : السَّيِّد أحمد صقر ، مكتبة دار التُّراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م .

- تطور البحث الدلالي : دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ، محمَّد حسن الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، د.ط ، د.ت .

- تفسير الآيات الكونيَّة في القرآن الكريم ، د. زغلول النجَّار ، مكتبة الشروق الدوليَّة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م .

- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشَّهير بأبي حيَّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥هـ) ، دراسة وتحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمَّد معوَّض ، شارك في تحقيقه : د. زكريا عبد المجيد التوني ، ود. أحمد النجولي الجمل ، قرَّظه : د. عبد الحيّ الفرماويّ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م .

- التفسير البياني للقرآن الكريم ، الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، رجب ١٣٨٨ هـ = نوفمبر ١٩٦٨

- تفسير التَّحرير والتَّنوير ، محمَّد الطَّاهر ابن عاشور ، الدَّار التُّونسيَّة للنَّشر ، تونس ، د.ط ، ١٩٨٤م .

- تفسير غريب القرآن لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، د.ط ، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م .

- التفسير الكبير للإمام الفخر الرَّازي ، طبع بالمطبعة البهيَّة المصريَّة ، القاهرة ، د.ط ، ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م .

- تفسير المراغي ، تأليف : أحمد مصطفى المراغي ، شركة مكتبة ومطبعة : مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده بمصر ، ط١ ، ١٣٦٥هـ=١٩٤٦م .

- تَفْسير المشكل من غريب القُرآن للإمام مكِّي بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق : د. علي حسين البَّواب ، مكتبة المعارف ، الرِّياض ، د.ط ، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م .

- تفسير النَّسَفيّ (مدارك التَّنْزيل وحقائق التأويل) ، تأليف : أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسَفيّ (ت ٧١٠هـ) ، حقَّقه وخرَّج أحاديثه : يوسف علي بديوي ، راجعه وقدَّم له : محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطَّيِّب ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م .

- كتاب تَفْصيل النَّشْأتَيْن وتحصيل السعادتين للإمام أبي القاسم بن محمَّد بن المفضَّل الرَّاغب الأصفهانيّ المتوفَّى في رأس المائة الخامسة ، منقولة عن نسخة

خطيّة ومقابلة على نسخة أخرى كتبها لنفسه الشيخ رضيّ الدين بن أبي بكر الحلبيّ (ت ٩٦٣هـ) ، ومصحّحة بمناظرة الشيخ طاهر الجزائري ، طبع في بيروت ، د.ط ، ١٣١٩هـ .

- تهذيب اللغة ، أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهريّ (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياريّ (الجزء الخامس عشر) ، دار الكاتب العربيّ ، مطابع سجلّ العرب ، د.ط ، ١٩٦٧م .

- الجامع لأحكام القُرآن لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاريّ ، اعتنى به وصحّحه الشيخ هشام سمير البخاريّ ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتّوزيع ، مكة ، د.ط ، د.ت .

- جَنَى الجَنَّتَيْن في تمييز نَوْعَي المُثَنَّيَيْن ، مُحَمَّد أمين بن فضل الله بن محبّ الله بن مُحَمَّد المحبّي (ت ١١١١هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ=١٩٨١م .

- جواهر الألفاظ لأبي الفَرَج قدامة بن جعفر الكاتب البغداديّ ، تحقيق : مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

- حاشية القونوبي عصام الدين إسماعيل بن مُحَمَّد الحنفيّ (ت ١١٩٥هـ) على تفسير الإمام البيضاويّ (ناصر الدين عبد الله بن عُمر بن مُحَمَّد الشِّيرازيّ) (ت ٦٨٥هـ) ، ومعه حاشية ابن التَّمجيد (مصلح الدّين مصطفى بن إبراهيم الرُّوميّ الحنفيّ (ت ٨٨٠هـ) ، ضبطه وصحّحه وخرّج آياته : عبد الله محمود مُحَمَّد عمر ، منشورات : مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .

- خِزانة الأدب ولُبّ لباب لسان العرب ، تأليف : عبد القادر بن عُمر البَغْدادِيّ (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السَّلام مُحَمَّد هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدنيّ بالقاهرة ، ط٣ ، ١٤١٦هـ=١٩٩٦م .

- الخصائص ، صنعة أبي الفتح عُثْمان بن جنّي ، تحقيق : محمَّد علي النَّجّار ، دار الكتب المصريّة ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

- خصائص اللغة العربيّة (بحث في اللغة العربيّة الفصحى والعاميّة وما يقابل خصائص الفصحى في غيرها من اللغات) ، تأليف : حبيب غزالة بك ، المطبعة العصرية بمصر ، القاهرة ، د ط ، ١٩٣٥م .

- الدُّرَّة الفاخرة في الأمثال السَّائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهانيّ (ت ٣٥١هـ) ، حقّقه وقدَّم له ووضع حواشيه وفهارسه : عبد المجيد قطامش ، دار المعارف بمصر ، د.ط ، د.ت .

- شرح التَّسْهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) ، جمال الدّين مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطَّائيّ الأندلسيّ (ت ٦٧٢هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد عبد القادر عَطَا ، وطارق فتحي السِّيّد ، منشورات مُحَمَّد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .

- شرح جُمَل الزَّجَّاجيّ لابن عصفور الإشبيليّ (ت ٦٦٩هـ) (الشرح الكبير) ، تحقيق : د. صاحب أبو جناح ، ١٩٧١م ، بدون بيانات أخرى .

- شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقشة وأشعارهم ، تأليف : حسن السَّندوبيّ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ط٣ ، ١٣٧٣هـ=١٩٥٣م .

- شرح الرَّضي على الكافية ، طبعة جديدة مصحّحة ومذيّلة بتعليقات مفيدة ، من عمل : يوسف حسن عُمر ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط٢ ، ١٩٩٦م .

- شرح المفصَّل للشيخ موفَّق الدين يعيش ابن يعيش النَّحْويّ (ت ٦٤٣هـ) ، عُنِيت بطبعه

ونشره إدارة الطباعة الأميريّة ، القاهرة ، صحّحه وعلّق عليه جماعةٌ من العُلماء ، د.ط ، د.ت .

- الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة ، تأليف إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٠م .

- العلاقات الدلاليّة بين المعجم وعلم الصرف ، مشري عبدالناصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الملتقى الدولي الأول في المصطلح التقْديّ يومي ٩ و ١٠ مارس ٢٠١١ م.

- علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٩٨ م .

- علم الدلالة ، تأليف : أف . آر . بالمر ، ص ٧٧ ، ترجمة : مجيد عبدالحليم الماشطة ، الجامعة المستنصرية – بغداد ، د.ط ، ١٩٨١م .

- علم الدلالة ، جون لاينز ، ترجمة : مجيد عبدالحميد الماشطة ، مطبعة جامعة البصرة ، بغداد ، د.ط ، ١٩٨٠ م .

- علم الدّلالة ، تأليف :كلود جرمان وريمول لوبلون ، ترجمة : الدكتورة نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٧ م .

- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ، د. هادي نهر ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، إربد ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٧ م .

- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق : دراسة تاريخيّة ، تأصيليّة ، نقدية ، د. فايز الداية ، دار الفكر ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٦ م .

- كتاب العين لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزوميّ ، ود. إبراهيم السّامرّائيّ (سلسلة المعاجم والفهارس) ، بدون بيانات أخرى .

- كتاب غريب القُرآن ، تصنيف : أبي بكر مُحَمَّد بن عزير السِّجستاني (ت ٣٣٠هـ) ، تحقيق وتقديم : مُحَمَّد أديب عبد الواحد وجدان ، دار قتيبة ، ط١ ، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م .

- فقه اللُّغة المقارن ، د. إبراهيم السّامرائيّ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، كانون الثاني ١٩٨٣م .

- القاموس المحيط ، تأليف مجد الدِّين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ، تحقيق مكتب تحقيق التُّراث في مؤسَّسة الرِّسالة بإشراف مُحَمَّد نعيم العرقسوسي ، طبعة فنّية منقحة مفهرسة ، مؤسَّسة الرِّسالة ، بيروت ، ط٨ ، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

- كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام مُحَمَّد هارون ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلاَّمة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق وتعليق ودراسة : الشَّيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشَّيخ علي مُحَمَّد معوَّض ، شارك في تحقيقه : د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العُبَيْكان ، الرِّياض ، ط١ ، ١٤١٨هـ=١٩٩٨م .

- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ، صنعة : جامع العلوم أبي الحسن علي بن الحسين الأصبهاني الباقُوليّ (ت ٥٤٣هـ) ، حقّقه وعلّق عليه وصنع فهارسه : د. مُحَمَّد أحمد الدَّالي ، مطبعة الصَّباح ، دمشق ، د.ط ، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م .

- كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٣هـ) ، تحقيق وتعليق : د. عبد الجواد خلف ، توزيع مكتبة ابن تيمية ،

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط١ ، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م .

- لهجة تميم وأثرها في العربيَّة المُوحَّدة ، غالب فاضل المطلبي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ، بغداد (سلسلة دراسات : ١٥٥) ، د.ط ، ١٩٧٨م .

- مجاز القرآن ، صنعة أبي عبيدة معمر بن المُثَنَّى التيميّ (ت ٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلَّق عليه : د. مُحَمَّد فؤاد سَزكين ، الناشر : مكتبة الخانجي بمصر ، د.ط ، ١٩٧٤م=١٩٥٤م .

- مختار الصِّحاح ، مُحَمَّد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي ، ط١ ، المطبعة الكُلِّيَّة على نفقة صاحبها عبد الله مُحَمَّد الكتبي ، د.ط ، ١٣٢٩هـ .

- المثلَّث لابن السّيد البطليوسيّ (ت ٥٢١هـ) ، تحقيق ودراسة : د. صلاح مهدي الفرطوسي ، دار الرَّشيد للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام بالجمهوريَّة العراقيَّة (سلسلة كتب التُّراث ١١١) ، د.ط ، ١٤٠١هـ=١٩٨١م .

- كتاب المثنَّى ، الإمام أبو الطَّيِّب عبد الواحد بن علي اللُّغوي الحلبي (ت ٣٥١هـ) ، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ بدمشق ، حقَّقه وشرحه ونشر حواشيه عزّ الدين التنوخي ، د.ط ، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م .

- كتاب مشكل إعراب القرآن ، تأليف : مكّي بن أبي طالب القَيْسيّ (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق : ياسين مُحَمَّد السَّواس ، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ، د.ط ، ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م .

- كتاب المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير للرَّافِعيّ ، تأليف العالم العلاَّمة أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيُّوميّ المقري (ت ٧٧٠هـ) ، وزارة المعارف العموميَّة ، المطبعة الأميريَّة بالقاهرة ، ط٥ ، ١٩٢٢م .

- معاني القرآن ، أبو زكريَّا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م .

- معجم الألفاظ المثنَّاة (المثنيان) ، شريف يحيى الأمين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، فبراير ١٩٨٢م .

- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربيَّة ، الإدارة العامَّة للمعجمات وإحياء التُّراث ، مكتبة الشُّروق الدَّوْليَّة ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

- المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة العربيَّة) ، د . مُحَمَّد مُحَمَّد يونس علي ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، مارس ٢٠٠٧ م .

- كتاب المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجُرجانيّ ، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان ، دار الرَّشيد للنَّشر ، العراق (سلسلة كتب التُّراث ١١٥) ، د.ط ، ١٩٨٢م .

- كتاب المقتضب ، صنعة أبي العبَّاس مُحَمَّد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التُّراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلاميَّة ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م .

- مُعْترك الأقران في إعجاز القرآن للشَّيْخ أي الفضل جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطيّ (ت ٩١١هـ) ، ضبطه وصحَّحه وكتب فهارسه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م .

- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصريَّة ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٧٨م .

- لسان العرب لابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

- نتائج الفكر في النَّحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُّهَيْليّ (ت ٥٨١هـ) ، حقَّقه وعلَّق

عليه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي مُحَمَّد معوَّض ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م .

- النحو والدلالة : مدخل لدراسة المعنى النحوي الدّلاليّ ، د . مُحَمَّد حماسة عبداللطيف ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م .
- نظرية المعنى في الدراسات النحوية ، د . كريم حسين ناصح الخالدي ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م .
- النُّكَت في القرآن الكريم (في معاني القُرآن وإعرابه) ، تأليف : أبي الحسن علي بن فَضَّال المجاشعيّ (ت ٤٧٩هـ) ، دراسة وتحقيق : د. عبد الله عبد القادر الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ=٢٠٠٧م .
- النُّون وأحوالها في لغة العرب ، د . صبحي عبدالحميد مُحَمَّد عبدالكريم ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدّين السَّيوطيّ (ت ٩١١هـ) ، تحقيق وشرح : د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسَّسة الرّسالة ، بيروت ، د.ط ، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م .